مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 47 :عدد
July 2011 تموز

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

فتقدّم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفِعَ إليَّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض،
فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم وعمّدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس.
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.
وها أنا معكم كلّ الأيام إلى إنقضاء الدهر. (متى 20:28)

الدينونة

محتويات العدد

2	الدينونة
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
5	الروح القدس للقديس أثناسيوس الكبير
6	يتظاهرون بالتقوى
7	تفسير القدّاس الإلهيّ
8	حكمة الله
10	الملائكة والشياطين
12	مدخل إلى المزامير للقديس أثناسيوس الكبير
14	الغبار
15	رموز العذراء الصخرة
16	عيد القديسين بطرس وبولس للقديس غريغوريوس بالاماس
19	العهد القديم . (٣١)
20	مير ميلا السابق للقديس يوحنا الذهبي الفم
22	داء الحسد

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

وقف أحد الهراطقة يذيع ضلالة بأن لا يوجد عقاب ولا ثواب يوم الدينونة.

كان هذا الملحد ممن يسمون أنفسهم (بالعموميين).

وبعد أن وعَظَ الناس عن عقيدته قال لهم بعد العظة أنّه على إستعداد أن يُلقي عليهم عظة أخري بعد أربعة أسابيع .. وحينئذ وقف أحد المستمعين وقال له:

(سيّدي: إن كان ما تقوله صدق فلا حاجة لنا إلى عظاتك ، وإن كان ما تقوله كذب فلا حاجة لنا إلى عظاتك أيضاً).

وكان هذا الرجل على حقّ فإذا كان الهرطوقيّ الواعظ صادق ولا يوجد عقاب بعد الموت فما فائدة العظات التي تقودهم إلى التوبة طالما أنّه ليس هناك عقاب على الخطايا.

وإن كان كلامه كاذب ، فهم أيضاً ليسوا في حاجة إلى عظاته عن عقيدة كاذبة لا تفيد في خلاص نفوسهم.

قال زوج ملحد لزوجته المؤمنة باللّه: (يا لك من مسكينة بائسة، تحرمين نفسك من مُتَع الحَياة وملذّاتها في سبيل الخلود. إنّني أؤكّد لك أنّه ليس هناك **نعيم أو جحيم** ، وإن حدث وقَابلتُك بعد الموت فسأشمت فيك وأراك وأنت تندمين على ما فاتك من أفراح ومُتَع الحياة).

فأجابته الزوجة المؤمنة قائلة: (إذا لم يكن هناك نعيم أو جحيم فلن يكون هناك قيامة من الأموات، ولن تراني لتشمت فيَّ. ولن أكون موجودة لأتحسَّر على ما فاتني من أفراح ومُتع الدنيا. أما المصيبة الكبرى لكَ ، فهي **أن تكون هناك أبديّة**. فتندم أنتَ على شرورك ويُلقي اللّه بك في نار جهنم إلى الأبد. فلماذا لا ترفع قلبك إلى السماء ليعلن لك اللّه طريق الخلود. في ظلال المراحم الإلهيّة. حياة أبدية). «فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٩).

أنا هو نور العالم
من يتبعني فلا يمشي في الظلام
بل يكون له نور الحياة.

إلهي ..

هل نورك يحوطني وأنا لا أراه ؟
هل إنجيلك في داخلي ولكني لا أحياه ؟
هل روحك القدوس فيَّ ولكني أُحزنه وأطفيء عمله ؟
هل تريد أن تسكب نعمتك فيَّ وأنا لا أستجيب ؟
هل تريد أن تجذبني ورائك وتشملني بحبّك وأنا لا أريد ؟
هل أنت قريب منّي ولكني بعيد ؟

إلهي ..

أنر بصيرتي .. إفتح مَصَاريع قلبي.
أشبع نفسي .. أروي عطشي.
أنر لي يارب طريق الخلود .. خلف ستار الزمن .. في رحاب الأبديّة.

الحياة إختبار لن يتكرّر
وبه سوفَ يُحَدَّد
مصيرك الأبدي.

الدينونة

محتويات العدد

2	الدينونة
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
5	الروح القدس للقديس أثناسيوس الكبير
6	يتظاهرون بالتقوى
7	تفسير القدّاس الإلهيّ
8	حكمة الله
10	الملائكة والشياطين
12	مدخل إلى المزامير للقديس أثناسيوس الكبير
14	الغبار
15	رموز العذراء الصخرة
16	عيد القديسين بطرس وبولس للقديس غريغوريوس بالاماس
19	العهد القديم . (٣١)
20	مير ميلا السابق للقديس يوحنا الذهبي الفم
22	داء الحسد

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

وقف أحد الهراطقة يذيع ضلالة بأن لا يوجد عقاب ولا ثواب يوم الدينونة.

كان هذا الملحد ممن يسمون أنفسهم (بالعموميين).

وبعد أن وعَظَ الناس عن عقيدته قال لهم بعد العظة أنّه على إستعداد أن يُلقي عليهم عظة أخري بعد أربعة أسابيع .. وحينئذ وقف أحد المستمعين وقال له:

(سيّدي: إن كان ما تقوله صدق فلا حاجة لنا إلى عظاتك ، وإن كان ما تقوله كذب فلا حاجة لنا إلى عظاتك أيضاً).

وكان هذا الرجل على حقّ فإذا كان الهرطوقيّ الواعظ صادق ولا يوجد عقاب بعد الموت فما فائدة العظات التي تقودهم إلى التوبة طالما أنّه ليس هناك عقاب على الخطايا.

وإن كان كلامه كاذب ، فهم أيضاً ليسوا في حاجة إلى عظاته عن عقيدة كاذبة لا تفيد في خلاص نفوسهم.

قال زوج ملحد لزوجته المؤمنة باللّه: (يا لك من مسكينة بائسة، تحرمين نفسك من مُتَع الحَياة وملذّاتها في سبيل الخلود. إنّني أؤكّد لك أنّه ليس هناك **نعيم أو جحيم** ، وإن حدث وقَابلتُك بعد الموت فسأشمت فيك وأراك وأنت تندمين على ما فاتك من أفراح ومُتَع الحياة).

فأجابته الزوجة المؤمنة قائلة: (إذا لم يكن هناك نعيم أو جحيم فلن يكون هناك قيامة من الأموات، ولن تراني لتشمت فيَّ. ولن أكون موجودة لأتحسَّر على ما فاتني من أفراح ومُتع الدنيا. أما المصيبة الكبرى لكَ ، فهي **أن تكون هناك أبديّة**. فتندم أنتَ على شرورك ويُلقي اللّه بك في نار جهنم إلى الأبد. فلماذا لا ترفع قلبك إلى السماء ليعلن لك اللّه طريق الخلود. في ظلال المراحم الإلهيّة. حياة أبدية). «فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٩).

أنا هو نور العالم
من يتبعني فلا يمشي في الظلام
بل يكون له نور الحياة.

إلهي ..

هل نورك يحوطني وأنا لا أراه ؟
هل إنجيلك في داخلي ولكني لا أحياه ؟
هل روحك القدوس فيَّ ولكني أُحزنه وأطفيء عمله ؟
هل تريد أن تسكب نعمتك فيَّ وأنا لا أستجيب ؟
هل تريد أن تجذبني ورائك وتشملني بحبّك وأنا لا أريد ؟
هل أنت قريب منّي ولكني بعيد ؟

إلهي ..

أنر بصيرتي .. إفتح مَصَاريع قلبي.
أشبع نفسي .. أروي عطشي.
أنر لي يارب طريق الخلود .. خلف ستار الزمن .. في رحاب الأبديّة.

الحياة إختبار لن يتكرّر
وبه سوفَ يُحَدَّد
مصيرك الأبدي.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة الأحتفال بعيد الرسل الأطهار

«لقد طفتم الخليقة كلَّها يا تلاميذ المخلّص. فأحرقتم بتعاليمكم ضلالة الأوثان كمادَّة قابلة الإحتراق. واصطدتم الأمم من عمق الجهل والغباوة. وهديتموهم إلى معرفة اللّه فخلَّصتموهم .» (الذكصا بعد الإينوس).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيّها الزوّار الحسني العبادة

إنّ دخول كلمة اللّه داخل حيّز تاريخ البشريّة يتمحور حول شخص الروح القدس (روح اللّه)، كما أكّده الربّ يسوع في حديثه الخلاصي مع المرأة السامريّة إذ قال: « ...حين الساجدون الحقيقيّون يسجدون للآب بالروح والحقّ ... اللّه روحٌ ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤:٢٣-٢٤). هذا الروح الذي سَبَقَ وأنار بطريقة ظليّة مكنونات عديدة ومختلفة أنار من ناحية ثانية الرسُل الأطهار عند إستعلانه لهم جوهرياً يوم العنصرة ؛ وتتميماً لوعد المسيح الصادق للتلاميذ ، قبل صعوده إلى السماء: « وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهم أن لا يَبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا " موعد الآب الذي سمعتموهُ منّي ... وأما أنتم **فستُعَمَّدون** بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير " » (أعمال١:٤-٥).

إنّ إختيار الأنبياء من ناحية ، وكذلك إختيار الرُسل من ناحية أخرى ، وإسناد المهمات التبشيريّة لهم ، يخضع لمخطّط التدبير الإلهيّ ، لتغيير وإعادة الناس والبشر المخلوقين بصورة اللّه الآب من الظلمة إلى النّور.

فشهادة بولس الرسول الشخصيّة ، الذي كان مدعوّاً إلى الوظيفة الرسوليّة من قبَل يسوع المسيح تؤكّد حقيقة هذا الإختيار: « ولكن قُم وَقف على رجلَيْكَ ، لأنّي لهذا ظهرتُ لك ، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيتَ ، وبما سأُظهر لك به ، مُنقذاً إيّاكَ من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلَك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى اللّه.» (أعمال٢٦:١٦-١٧).

الأنبياء ، والرسل الأطهار هم النُخبة الذين تم إنتقائهم، بإلهام الروح القدس : الأنبياء هم النخبة من شعب اللّه المختار ، والرسل هم النخبة الفريدة من شعب اللّه المختار ومن الأمم.

الرُسل الذين سُلِّموا الروح المعزّي ، أي روح الحق جوهرياً ، روحَ المسيح الذي هو كمال الناموس والأنبياء ، فالمسيح

كلمة اللّه قد أتَمَّ التدبير الأبويّ أي تدبير اللّه الآب.

التدبير الأبويّ الإلهيّ : أُعطيَ بدءاً إلى مجموعة الأنبياء التي كانت مرهونةً تحت وكالة، أما بالنسبة إلى الرسل فإنّه قد أُعطيَ لهم شخصيّاً ، الذين كونهم معروفين ، أصبحوا الوارثين الحقيقيين والقانونيين لإنجاز مخطّط التدبير الخلاصي بالمسيح يسوع.

هكذا تنضح الحقيقة من خلال الوراثة الجديدة بالمسيح يسوع ، فقد تمّ العبور من كنيسة الناموس إلى كنيسة المعزّي ، كنيسة الروح القدس ، التي تحقّقت بكمالها ، يوم العنصرة في إجتماع الرُسُل الأطهار في علية أورشليم .

الوظيفة النبويّة والرسوليّة التي تظهر جليّة بصدق رسالتها وأصالة الوحي بها داخل طيّات الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد ؛ تُرشدنا بكل دقّة **على زور وظيفة الأنبياء المزيّفين ، والرُسل المزيّفين** ، كما يذكر الإنجيليّ متى البشير: «ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلّون كثيرين» (متى ٢٤:١١).
ويقول القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «لأنّ مثل هؤلاء هُم رُسل كذبة ، فَعَلَة ماكرون ، مغيّرون شكلهم إلى شبه رُسُل المسيح» (٢كو١١:١٣).

أنّ يسوع المسيح كلمة اللّه المتجسّد والمتأنّس ، مصدر كلّ رتبة نبويّة ، رسوليّة وكهنوتيّة ، كما يقول الإنجيليّ لوقا: « ... يسوع الناصريّ ، الذي كان إنساناً نبياً مُقتدراً في الفعل والقول أمام اللّه وجميع الشعب» (لو١٩٢٤)،وحسبما يقول الحكيم بولس لأنّه هو «الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب١:٢) ، وأيضاً : «لاحظوا رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ١:٣) ، وأيضاً «مدعوّاً من اللّه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق» (عب٥:١٠).

كنيسة المسيح تحوي داخلها:

١) إعادة الإنسانيّة من الظلمة إلى النّور.

٢) تحرير الإنسان من **سلطان الشيطان** إلى **حريّة اللّه**.
« ومن الذين أنا الآن أرسلَك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى اللّه.» (أعمال٢٦:١٦-١٧).

الكنيسة هي المستودع والإطار الروحي لخدمة الرسُل الأطهار وخلفائهم الكهنة الذين يقومون بتتميم العمل الإلهي الليتورجي الملموس والظاهر على الأرض ، ليتسنّى لهم إنجاز عمل المسيح الخلاصي ، كما الطغمات الملائكيّة للكنيسة غير المنظورة في السماويّات.

إنّ الكنيسة المسكونيّة أُقيمت على أساس الرُسل ، كما يُؤكّد ذلك الرسول بولس العظيم «مبنيين على أساس الرُسُل» (أفسس ٢:٢٠). لذا حريٌّ بنا أن ندرك المكانة الفريدة للرسُل الأطهار عن باقي مواكب القديسين الأبرار.

لذا تسمّى كنيستنا : الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة. فالإنتماء الرسولي يربطنا من الناحية التاريخيّة والإيمانيّة والعقائديّة بعظمة هذا الإنتماء الروحي لهذه الكنيسة محفّزاً إيّانا أن نحفظ شوط الإيمان غير متقسّم ، لنكون أُمَناء حافظين بعناية هذه الوديعة الإلهيّة لنا وللبشريّة جمعاء . آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الرسالة الرابعة من رسائل القديس أنطونيوس الكبير

البرّ الذي يقود إلى التبنّي:

أنطونيوس يتمنّى لكلّ إخوته الأعزّاء فرَحاً في الربّ.

يا أعضاء الكنيسة سوف لا أملّ من ذكركم ، أريد أن تعرفوا أنّ المحبّة التي بيننا ليست محبّة جسديّة ولكن روحيّة إلهيّة. **لأنّ الصداقة الجسديّة ليس لها صلابة وثبات ، إذ تحرّكها رياح غريبة. إن كلّ مَن يخاف اللّه ويحفظ وصاياه ، فهو خادم اللّه. وهذه الخدمة ليست الكمال بل البرّ الذي يقود إلى التبنّي.** ولهذا السبب فإنّ الأنبياء والرُسل ، وهم الجماعة المقدّسة الذين إختارهم اللّه وائتمنهم على الكرازة الرسوليّة ، أصبحوا بصلاح اللّه أسرى للمسيح يسوع. لذلك يقول بولس: «بولس أسير يسوع المسيح المدعو رسولاً» (أف٣:١ و رو١:١). **لذا فإنّ النّاموس المكتوب يعمل فينا بعبوديّة صالحة ، إلى أن نصبح قادرين على السيادة على كلّ شهوة. ونصبح كاملين في الخدمة الصالحة للفضيلة من خلال هذا المستوى الرسولي.**

القديس أنطونيوس الكبير

روح التبنّي:

لأنّه إن إقترب إنسان من النعمة فإنّ يسوع سيقول له: «سوفَ لا أدعوكم عبيداً ، بل أدعوكم أصدقائي وإخوتي لأنّ كلّ الأشياء التي سمعتها من أبي أخبرتكم بها» (يو١٥:١٥). **فإن كلّ الذين إقتربوا من النعمة وتعلّموا من الروح القدس قد عرفوا أنفسهمّ حسب جوهرهم العقلي. وفي معرفتهم لأنفسهم صرخوا قائلين:** «لأنّنا لم نأخذ روح العبوديّة للخوف ولكن روح التبنّي الذي به نصرخ يا أبا الآب» (رومية ٨:١٥)، حتى نعرف ماذا أعطانا اللّه. «إذا كنّا أبناء فإنّنا ورثة أيضاً ، ورثة اللّه ، ووارثون مع القديسين» (رومية ٨:١٧).

الفضائل لكم:

يا أبنائي الأعزّاء والوارثين مع القديسين ، **إنّ كل الفضائل ليست غريبة عنكم ، ولكنّها لكم إذا كنتم لستم تحت الخطيّة (الذنب) من هذه الحياة اللحميّة** ، ولكنّكم ظاهرون أمام اللّه. **لأنّ الروح لا يسكن في نفس الإنسان المدنّس القلب ، ولا في الجسد الخاطىء ؛ لأنّه قوّة مقدسة ومنفصل عن كلّ خداع وشرّ.**

اعرفوا أنفسكم:

حقيقة يا أحبائي إنّي أكتب لكم كما لرجال عقلاء عرفوا أنفسهم ـ **لأنّ مَن عَرَفَ نفسه عَرَفَ اللّه ومَن عَرَفَ اللّه يستحق أن يعبده بالحقّ. أحبائي في الربّ إعرفوا أنفسكم لأنّ الذين عرفوا ذواتهم يعرفون زمانهم ، والذين يعرفون زمانهم ، يستطيعون أن يبقوا ثابتين**، لا يتحرّكون باللغات المتنوّعة (بالتعاليم الغريبة).

لأنّه بالنسبة **لآريوس** الذي **تعظّم (تكبّر)** في الإسكندريّة وتكلّم بأقوال غريبة عن الإبن الوحيد جاعلاً بدايةً للذي لا بداية له ، ونهايةً لمن يفوق فحص وإدراك البَشَر ، ونَسَبَ التغيير لغير المتغيّر. فإذا أخطأ إنسان ضدّ آخر فإنّهم يستعطفون اللّه من أجله ، ولكن إذا أخطأ إنسان ضد اللّه فمن الذي يُصلّي لأجله ؟ (أنظر ١ صم ٢:٢٥). لذلك فإنّ هذا الرجُل أخذَ على عاتقه أمراً خطيراً ، وجُرحه غير قابل للشفاء. لأنّه لو عرَف مثل هذا نفسه لما تكلّم لسانه عمّا لا يعرفه. ولكن من الواضح أنّه لم يعرف نفسه.

الروح القدس

للقديس أثناسيوس الكبير رئيس أساقفة الإسكندرية

ضد البدعة الآريوسيّة الممقوتة

والتي تشبه كثير من البدَع في أيامنا الحاضرة

... كان من الطبيعي أنّي تحدَثتُ أوّلاً وكتبتُ عن **إبن اللّه** ، حتى أنّه من معرفتنا عن الإبن ، يمكن أن تكون لنا **معرفة حقيقيّة عن الروح** ، لأنّنا سنجد أن خصوصيّة الروح نحو الإبن ، هي مثل خصوصيّة الإبن نحو الآب ، وكما يقول الإبن: «كلّ ما للآب هو لي» (يو١٦:١٥)، هكذا فإنّنا سنجد أنّ كلّ هذه الأشياء ، هي في الروح أيضاً بواسطة الإبن. وكما أعلن الآب عن الإبن قائلاً: «هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت» (متى ٣:١٧)، هكذا الروح هو للإبن لأنّ الرسول يقول: «أرسل اللّه روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غلاطية ٤:٦) ، والأمر الجدير بالملاحظة هو ما قاله الإبن: «ما لي فهو للآب» (يو ١٧:١٠).

هكذا الروح القدس الذي قيل إنّه للإبن ، فهو للآب لأن الإبن نفسه يقول: «ومتى جاء المعزّي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو ١٥:٢٦). وبولس يكتب أيضاً : «ليس أحد من الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه ، هكذا أيضاً أمور اللّه لا يعرفها أحد إلاّ روح اللّه ، ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من اللّه لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من اللّه» (١كو٢:١١-١٢)، وفي الكتاب الإلهي ، سوف نجد أنّ الروح القدس الذي يقال عنه أنّه للإبن يقال عنه أيضاً أنّه للّه. وهذا ما كتبناه في الرسائل السابقة.

لذلك ، إن كان الإبن بسبب خصوصيّته مع الاب ، وبسبب أنه **المولود الذّاتي لجوهر الآب** فهو ليس مخلوقاً بل من نفس جوهر الآب. وبالمثل فإن الروح القدس لا يمكن أن يكون مخلوقاً بل أن مَن يقول هذا **فهو كافر** ، وذلك بسبب خصوصيّته مع الإبن الذي بواسطته ، يُعطى لجميع البشر ، ولأنّ كلّ ما له فهو للإبن.

هذه الأسباب كافية **لأن تُقنع كلّ محبّ للمشاكسة** ، بألاّ يستمرّ في القول بأن روح اللّه مخلوق ، وهو الذي في اللّه ، والذي يفحص أعماق اللّه ، والذي يُعْطَى من الآب بواسطة الإبن ، وحتى لا يضطرّ نتيجة لهذا أن يدعو الإبن أيضاً مخلوقاً الذي هو **الكلمة ، والحكمة ، والرسم ، والشعاع ، والذي مَن يراه يرى الآب** . وحتى لا يسمع أخيراً «كلّ مَن يُنكر الإبن ليسَ له الآب أيضاً» (١يو٢:٢٣). لأنّ مثل هذا الإنسان سيصل بعد قليل **إلى القول مع الجاهل** «**ليس إله**» (مز ١٣:١).

ورغم ذلك فلكيّ يكون برهاننا **ضدّ عديمي التقوى** أكثر قبولاً ، يكون حَسَناً أن نَضَع في إعتباراتنا تلك الأسباب التي تبيّن أنّ الإبن ليس مخلوقاً ، ومنها يتبيّن أيضاً أنّ الروح القدس ليس مخلوقاً. فالمخلوقات مخلوقة من العَدَم ولها بداية وجود ، لأنّه «في البدء خلَقَ اللّه السموات والأرض» (تك١:١) ، وكل ما فيها. وأما الروح القدس فهو من اللّه ، ويُقال عنه إنّه «**من اللّه**» كما قال الرسول. ولكن إن كان الإبن ليس من العَدم بل من اللّه فمن الطبيعي ألاّ يكون مخلوقاً ، وبالضرورة يكون الروح غير مخلوق ، لأنّنا قد اعترفنا أنّه من اللّه. فالمخلوقات هي التي من العدم.

وأيضاً فالروح القدس يُدعى ـ وهو كذلك ـ **مسحة وختم**. إذ يكتب القديس يوحنا الإنجيليّ: «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن

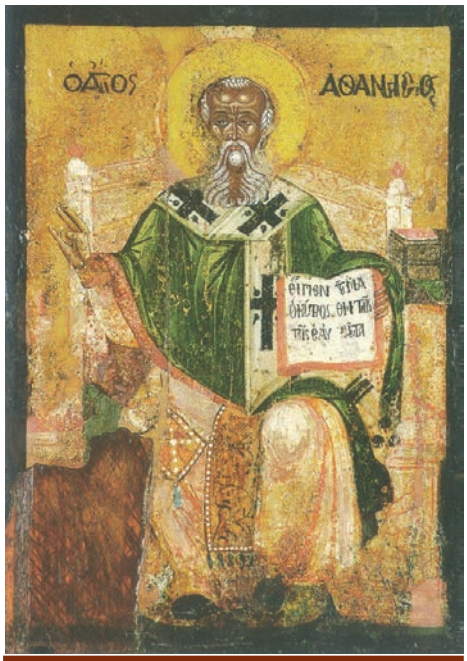

القديس أثناسيوس الكبير حامي الإيمان المستقيم

يعلمكم أحد بل كما تُعلمكم مسحته ، روحه ، عن كلّ شيء» (١يو ٢:٢٧). وقد كُتِبَ في أشعياء «روح الربّ عليّ لأنّه مسحني» (إش ٦١:١). وأيضاً بولس يكتب «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتُم» (أفسس ١:١٣). وأيضاً «لا تُحزنوا روح اللّه القدّوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (أفسس ٤:٣٠). فالمخلوقات تُمسَح وتُختَم فيه. ولكن إن كانت المخلوقات تُمسَح وتُختَم فيه فلا يكون الروح مخلوقاً ، لأن الذي **يَمسَح** ليس مثل الذين يُمسَحون. ولأن المسحَة أيضاً هي مسحَة الإبن ، حتى أنَّ الذيَ عنده الروح يقول: «نحنُ رائحة المسيح الزكيّة» (٢كو٢:١٥).

والختم يُعطي **بصمة الإبن** ، حتى أنّ المختوم يكون صورة الإبن إذ يقول الرسول: «يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسيح فيكم» (غلاطية٤:١٩). فإذا كان الروح هو رائحة الإبن الزكيّة وصورته ، فمن الواضح أنّ الروح لا يمكن أن يكون مخلوقاً. وكذلك ، حيث إنّ الإبن هو صورة الآب ، فهو ليس مخلوقاً ، وأيضاً لأنّه كما أنّ مَن يرى الإبن يرى الآب ، هكذا فمن له الروح القدس ، له الإبن ، وإذ يكون له ، فهو هيكل اللّه ، إذ أنّ بولس يكتب «أما تعلمون أنّكم هيكلٌ وأنّ روح اللّه يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦). ويقول يوحنا الإنجيليّ «بهذا نعرف أنّنا نثبت في اللّه وهو فينا ، لأنّه قد أعطانا من روحه» (١يو٤:١٣). وإذا كان الإبن في الآب، والآب فيه ، ولذلك إعترف أنّه ليس مخلوقاً،

وإذاً فمهما كان الأمر ، يستحيل أن يكون الروح القدس مخلوقاً ، لأن الإبن فيه وهو في الإبن ، ولذلك فمن يقبل الروح يُدعى هيكلاً للّه.

وأيضاً فمن المستحسن أن ننظر معاً إلى الأمر في ضوء ما يأتي: إذا كان الإبن هو كلمة اللّه فهو واحد كما أنّ الآب واحد ، لأنّه «يوجد إله واحد الذي منه جميع الأشياء ... ورب واحد يسوع المسيح» (١كو٨:٦). لذلك يُقال ويُكتَب عنه إنّه «**الإبن الوحيد**»، وأمّـا المخلوقات فهي كثيرة ومتنوّعة: ملائكة ، رؤساء ملائكة ، شاروبيم ، رئاسات ، سلاطين ، وغير ذلك كما سَبَق أن قلنا. وإذا كان الإبن ليس من بين الكثيرين **ولكنّه واحد ، كما أن الآب واحد** وهو ليس مخلوقاً فبالضرورة ـ لأنّه ينبغي أن نأخذ من الإبن معرفتنا عن الروح ـ لا يمكن أن يكون الروح مخلوقاً ، لأنّه ليس من بين الكثيرين، بل هو نفسه واحد.

وهذا ما **يُعرّفه** الرسول إذ يقول: «هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١كو١٢:١١). وبعد قليل أضاف: «لأنّنا جميعاً بروح واحد أيضاً إعتمدنا إلى داخل جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو١٢:١٣). وأيضاً ، لأنّه إن كان يجب أن نأخذ معرفتنا عن الروح من الإبن ، وإذن فمن الواجب أن نقدّم براهيناً مستمدّة منه ، فالإبن يوجد في كل مكان لأنّه كائن في الآب ، والآب فيه ، وهو يضبط كلّ الأشياء ويحفظها وقد كُتب «**فيه يقوم الكلّ**» سواء ما يُرى وما لا يُرى، «وهو قبل كلّ شيء» (كولوسي ١:١٧). ولكن المخلوقات توجد في الأماكن المخصّصة لها: الشمس والقمر والأنوار الأخرى في الجَلَد، والملائكة في السماء والناس على الأرض. ولكن إذا كان الإبن ليس في أماكن مخصّصة له ، بل هو كائن في الآب ويوجد في كل مكان ، وأيضاً هو خارج كلّ الأشياء ، فهو ليس مخلوقاً ، ويتبع ذلك أنّ الروح أيضاً لا يمكن أن يكون مخلوقاً لأنّه ليس في أماكن مخصّصة له ، بل هو يملأ كلّ الأشياء ويوجد خارج الكل لأنّه هكذا قد كُتب «روح الربّ ملأ المسكونة» (حكمة١:٧) ، ويرتّل داود: «إلى أين أذهب من روحك» (مزمور ١٣٨:٧)، كما أنّه ليس كائناً في أيّ مكان من الأمكنة ، بل هو خارج كلّ الأشياء ، وهو في الإبن كما أن الإبن هو في الآب ، لذلك فهو ليس مخلوقاً كما قد تبيّن.

وبالإضافة إلى كلّ ما سبَق ، فإنّ الإعتبارات التالية سوف تُثبت **إدانة البدعـة الآريوسيّة (ملاحظة:إنّ بدعة شهود يهوه أيضاً هرطقة مميتة فإنّها تتبنّى أفكار البدعة الأريوسيّة نفسها)**.

ومرّة أخرى فإنّه من الإبن سيتضح ما نعرفه عن الروح. فالإبن هو خالق مثل الآب لأنّه يقول: «الأشياء التي أرى الآب يعملها ، هذه أعملها أنا أيضاً» (أنظر يوحنا٥:١٩). وبالتأكيد «كلُّ به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كُوّن» (يوحنا ١:٣). ولكن إن كان الإبن مثل الآب خالقاً ، فهو ليس مخلوقاً. وإذ كانت كلّ الأشياء به خُلقَت ، فهو ليس من بين الأشياء المخلوقة ، وعلى هذا يتبيّن ، أن الروحَ ليس مخلوقاً ، لأنه قد كُتب عنه في المزمور المئة والثالث: «تنزع أرواحهم فيفنون وإلى تَرابهم يرجعون. تُرسل روحك فَيُخلَقون وتجدّد وجه الأرض» (مزمور ١٠٣:٢٩-٣٠). ■

يتظاهرون بالتقوى والعفة ، ولكنّهم ....

جفنة سدوم: (نبات) وهي شجيرة بقرب سدوم ، وتحمل عناقيد أثمار مرّة كالحنظل (تثنية ٣٢:٣٢) وارتأى البعض أنّها الشجرة المعروفة بالعشر عند العرب ، يبلغ علوّها ١٥ قدماً وثمرها كَرَويّ أصفر اللّون يشبه البرتقال في الحجم والشكل ويتدلّى منها على هيئة عناقيد في كل منها ثلاث أو أربع ثمرات. ويبلغ قطر جزع هذه الشجرة ٨ قراريط ، وأثمارها شهيّة للنظر ناعمة الملمس غير أنّه إذا ضُغطَ عليها أو عُصرَت إنفجرت كانفجار الزقّ المملوء هواءً ، ويبقَى في يد مَن يضَغط عليها بقايا قشورها الرقيقة مع بعض أليافها. ويقول يوسيفوس عن أثمار جفنة سدوم أنّها إذا قُبِضَت باليدّ إنحلّت إلى دخان ورماد. وموطن هذه الشجرة في مصر العليا وبلاد العرب والهند ، كما أنّها تنمو في عين جدي وأنحاء أخرى من وادي البحر الميّت الحارّ المناخ.

وقد قصدَ النبيّ موسى بالآية المُشار إليها في (تثنية ٣٢:٣٢) أن يَصف بصورة مجازيّة **دناءة أعداء اللّه ونجاستهم ، فإنّهم يتظاهرون بالتقوى والعفّة ولكنّهم بالحقيقة هم مثل أثمار جفنة سدوم.**

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ويقول **الشمّاس** للكاهن: فصّل يا سيّد الخبز المقدّس.
و**الكاهن:** يفصّله أربعة أجزاء بانتباه وورع قائلاً: يفصّل ويجزّأ حمل اللّه الذي يفصّل ولا يتقسّم ، الذي يُؤكل منه دائماً ، وهو لا يفرغ أبداً ، لكنّه يقدّس المشتركين به.

* يُفَصَّل حمل اللّه

في أوّل قدّاس إلهيّ أُقيم على الأرض ، جزّأ المسيح «**الخبز**» وأعطاه للأثني عشر قائلاً: « خذوا كلوا ، هذا هو جسدي الذي يُكسر من أجلكم». عمل الربّ هذا يُستعاد في كلّ قدّاس إلهيّ: يفصّل الكاهن حمَل اللّه ويقدّم للمؤمنين الجسد المقدّس ﴿الذي يكسر﴾.

لّما كان المسيح معلّقاً على الصليب لم يكسر الجنود عظماً من عظامه المقدّسة ، على منوال اللصّين المصلوبَين معه ، وذلك «ليتمّ الكتاب القائل: عظم لا يُكسر منه» ، إلاّ أنّه يفصَّل في ذبيحته الليتورجيّة ويقدَّم إلى المؤمنين. ويقول **الذهبيّ الفم**: «إنّ المسيح في تقدمته لأجلك يحتمل ما لم يحتمله على الصليب فيرتضي أن يتجزّأ ليُشبع الجميع».

المسيح هو الكائن الحقّ الذي يتناوله الجميع دون أن يفرغ أبداً بتناول المشتركين فيه ، «فلنفترض ، على حدّ تعبير **الذهبيّ الفم** أن هناك مصدر نار يضاء منه عشرة آلاف مشعل في المرّة الأولى، ومن ثمّ مقدار مماثل في المرّة الثانية ، ومقدار آخر في المرّة الثالثة ، وهكذا دواليك. هل يمكننا بعدها أن نقول إنّ النّار قد فقدت قوّتها ولمعانها بعد أن أضاءت هذا العدد من المشاعل؟ ». المسيح هو نبع نار «لا يفرغ أبداً عندما يُعطَى للآخرين. وهو رغم إنسكابه على الجميع ومنحه الصالحات بحال دائمة ، يبقى كاملاً في كماله».

يجزّأ المسيح ولا يتقسّم. المسيح هو كلّه في كلّ جزء من الخبز المقدّس بعد تفصيله، «وإن كان يُجزّأ إلاّ أنّه يبقى بلا تقسيم ، ونحن نقرّ ونعترف أنّه فعلاً موجود بكليّته في كلّ جزء من الأجزاء التي جرى تفصيلها».

أمّا المشتركون منّا في المائدة الشريفة فيأخذ كلّ منّا المسيح بكليّته فيمتلىء به بالكليّة. هكذا يصير بإمكان أولئك المتناولين أن يكونوا آلهة بحسب النعمة ويُدعَوا كذلك، كون اللّه بكليّته قد ملأهم دون أن يترك عضواً من أعضائهم فارغاً من حضوره» (مكسيموس المعترف). إذاً ، المسيح موجود بكليّته في كلّ واحد منّا. موجود بكليّته في كلّ كنيستنا المقدّسة. موجود، في طول الأرض وعرضها ، وعلى مدى الدهور.

«ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا»(يو١:١٦). نقتبل ملء «**الحياة**» ونؤلّف الكنيسة المقدّسة «التي هي جسده ، ملء الذي يملأ الكل في الكلّ». وإذا كانت المأكولات الماديّة تنفذ دوماً ، إلا أن حمل اللّه «يؤكل منه وهو لا يفرغ أبداً».

ويقول **الشمّاس** : كمّل يا سيّد الكأس المقدّسة.
فيتناول **الكاهن** الجزء الأعلى ويرسم به علامة الصليب على الكأس المقدّسة ويضعه فيها قائلاً:
كمال كأس الإيمان بالروح القدس. **الشمّاس** : آمين

* واحد هو المسيح

لقد أتَمَّ الكاهن ثلاثة أفعال متتالية منذ قال: «**القدسات للقديسين**». فقد رفع جسد المسيح المقدّس ، و«**جزأه**» و «**أتحده**» بدمه المقدّس.

أما «**رفع**» جسد المسيح فيتمّ عند قوله «القدسات للقدّيسين». ويقول **القديس جرمانوس** إنّ «رفع الجسد الكريم هو رسم للإرتفاع على الصليب وللموت عليه وللقيامة نفسها». ويأتي أيضاً تفسير **القدّيس يوحنا الدمشقي** في خطٍّ مشابه إذ يقول: «يرتفع (جسد المسيح) على يديّ الكاهن كما لو كان يرتفع على الصليب».

والكاهن يرفع من على الصينيّة المقدّسة الخبز المقدّس فقط. «عليها نتصوّر الآلام الإلهيّة الحاملة الحياة التي تنكشف لنا. إنّها آلام ذاك الذي ذُبح لأجل حياة العالم».

أما «**تجزئة**» جسد المسيح المقدّس ، فتتمّ عند قول الكاهن: «يفصّل ويجزّأ حمل اللّه ...». يفصّل الكاهن جسد المسيح المقدّس إلى أربعة أجزاء ويضعها على شكل صليب فوق الصينيّة المقدّسة. «كسر الخبز الكريم هو إشارة إلى الذبح». كما يقول القدّيس أفتيخيوس بطريرك القسطنطينيّة.

عمليّة < كسر الخبز > هي الفعل بامتياز الذي يُظهر المسيح. «فعند كسر الخبز» عرفه التلميذان على طريق عمواس، وبهذا الإسم عرّف المسيحيّون الأوائل القدّاس الإلهيّ. بكسر الخبز «المسيح الذي يتقسّم يتجزأ إلى أجزاء عدّة لأجلنا حتى نتناول كلّنا جسده المقدّس ، وبينما هو لا يتقسّم إذ به يتجزأ لأجلنا ، فيتحدنا بذاته ويجعلنا في إتّحاد واحد ، كما صلّى بالضبط لأبيه». كما ورد عند القديس سمعان أسقف تسالونيك. **يتبع**

ما بين نصف الخمسين وعيد المظال

تتمة من العدد السابق

(٣)

المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
تعريب الأب أنطوان ملكي

السيّد المسيح يناقش حكماء اليهود في المجمع

تقدّم لنا **الأمثال** مثالاً مميزاً عن هذه الظاهرة. لم يتكلّم المسيح بأمثال لكي يجعل كلامه أكثر وضوحاً، بل بالضبط لكي يحجب الحقائق العظيمة، أي أن الأنطباع بأن المسيح كان يتكلّم ببساطة لكي يفهم بسطاء زمانه ليس صحيحاً. عندما أورد المسيح مثل البذار، لم يفهم اليهود معنى المثل ومحتواه العميق. وعندما اقترب التلاميذ ليسألوه معنى هذا المثل قال لهم: «لَكُمْ قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللّه، وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَال، حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ.» (لوقا٨:٩-١٠). يبدو واضحاً أن الصور في الأمثال استُعملَت لتخفي معاني الأمثال التي كانت تُشرَح للتلاميذ المهيئين لها. **القديس ثيوفلكتوس**، في تفسيره لهذه النقطة، يقول: أن التلاميذ كانوا مستحقين لمعرفة أسرار ملكوت السماوات، بينما الآخرون كانوا يُخبَّرون «على نحو غامض»، حتى إذا ما رأوا وسمعوا لا يستوعبون المعنى. لكن المسيح فعل هذا ليس من باب الانتقائية، بل من باب المحبة والعناية. فلأنه كان يعرف أنهم سوف يزدرون أسرار الملكوت بعد أن يعرفوها، فقد أخفاها «حتى لا تزيد دينونتهم».

إذاً نرى من مثل البذار أن البعض، مثل الجموع، يسمعون كلمة اللّه في الأمثال، وآخرون، مثل التلاميذ، يعرفون أسرار ملكوت اللّه، وغيرهم، مثل التلاميذ الثلاثة الذين صعدوا على طور ثابور، يرون المسيح المتجلّي. يتوقّف الأمر على حالة المستمعين الروحية.

✠ تأتي كلمة اللّه كوصايا لخلاص الإنسان. هناك إنطباع بأن وصايا اللّه هي تركيبات شرعية تحدّ من حرية الإنسان. ولكن بعد كل ما رأينا عن كلمة اللّه التي هي **قوة إلهية**، يظهر أن الوصايا تشفي الإنسان وتعطيه الصحّة. المسيح الذي هو النموذج الأول لخلق الإنسان، يعرف كيف خلقه وإلى أي حالة قادته الخطيئة. عادةً نحن لا ندرك هذه الحالة، بالتحديد لأننا لا نعرف صورتنا الأصلية، أي كيف كان آدم في الفردوس. لهذا يقول **القديس غريغوريوس السينائي** أنه لو لم نعرف كيف خلقنا اللّه لما كنا استطعنا أن نفهم كيف **حطمتنا الخطيئة**. من خلال وصايا المسيح، التي أعطاها في العهدين القديم والجديد، يُرجى أن يُعاد الإنسان إلى حالته السابقة وأن يُقاد إلى أعلى.

إذاً، تفترض وصايا اللّه أن الإنسان مريض وعلى أساس معرفة عمل الكائن البشري تساعده على الانتقال من المرض إلى الصحّة. هنا أيضاً تشبه حين يعطينا الطبيب وصايا، فهي لا تجرّد الإنسان من الحرية بل تنمّيها وتطورها. أي حريّة للمريض؟ يحدّ مرض جسده كل حرياته وحركاته. يعلّم **القديس يوحنا الدمشقي** أننا عادةً نفتكر بأننا نحفظ وصايا اللّه، وأنها تحصرنا، لكن في الحقيقة الوصايا تحمينا. مَن يحفظ وصايا اللّه لا يحافظ عليها، وعلاوة على ذلك، لا تحتاج الوصايا للحفاظ عليها، بل هو المحفوظ والمحمي من الأعداء المنظورين وغير المنظورين الذين يتآمرون على حياة نفوسنا وأجسادنا. إذاً مَن يحفظ الوصايا ليس فقط محفوظاً بنعمة اللّه، بل في الوقت نفسه لا يخسر الغنى الذي عهد به الله إليه.

تعليم المسيح، كما ذكرنا، هو **قوة اللّه**، وفوق هذا هو قوة تشفي الإنسان. إذاً نحن ندرس كلمة اللّه المحتواة في الكتاب المقدس ولذلك تقرأ الكنيسة الأناجيل والرسائل في القداس الإلهي، كما أن نصوص العهد القديم تُقرأ في السهرانية والخدم الأخرى. عظة المسيح على الجبل، كلماته قبل كلّ معجزة وبعدها، كل الوصايا التي أعطاها بنفسه إلى التلاميذ والرسل، كلمات التلاميذ والآباء القديسين، كلّها رائعة لأن المسيح تكلّم عبرها.

✠ تظهر حقيقة كون كلمة اللّه قوة، من تأثيرها على المعجزات التي قام بها المسيح. كما أن اللّه قال «ليكن نور» كان النور (تكوين١:٣)، كذلك تماماً أنجز هو أموراً رائعة تُسمّى علامات وعجائب، أي معجزات. لم يقم المسيح بأي شيء من دون سبب وهدف. في دراسة الأناجيل المقدسة نكتشف أنّه أحياناً تكلّم، وكغطاء للتصديق على كلامه أتمّ العجائب، وأحياناً أخرى أنجز المعجزة ومن ثم كشف حقيقة لاهوتية مهمة.

سوف أشير إلى بعض الأمثلة المميزة التي تثبت هذه الحقيقة. كشف المسيح في العظة على الجبل حقائق عظيمة معروفة جداً. في تفسيره لهذه النقطة، يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنّ عند تفحّص المرء للأناجيل بتأن، يكتشف أنّ المسيح قبل صعوده إلى الجبل لتعليم الناس، شفى كثيرين وبهذا هيّأ اليهود لما سوف يخبرهم به. وهكذا كانت العجائب التي سبقت التعليم مهيئة له، والعجائب التي تبعت العظة لتثبيت ما سمعوه.

ثمّة تمييز في الأناجيل بين العلامات والمعجزات. المعجزة الحقيقية هي غفران الخطايا، لأن لا أحد غير المسيح يستطيع ذلك. كما يقول القديس يوحنا الدمشقي، ما من أحد من بطاركة العهد القديم وأبراره، بمعزل عن شركتهم مع اللّه والنعمة الخاصة التي كانت لهم، إستطاع أن يغفر الخطايا. هذا **عمل المسيح لأنّه الإله الحقيقي**.

لهذا، إن غفران الخطايا هو المعجزة العظمى التي تثير الإعجاب. من ناحية ثانية، بما أن اليهود **شَكّوا** في هذه الإمكانية، فقد أتمّ العلامة بعد الغفران، فشفى الجسد ليؤكّد أنّه قادر على شفاء صحة النفس. يظهر هذا بوضوح في معجزة المخلّع، أولاً غفر خطاياه وعندما شكّك اليهود بهذا شفى الجسد. «وَلكِنْ لكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (متى٩:٦).

لم يأت المسيح إلى العالم ليتمّ العجائب مع أنّه تأثّر بألم الناس وتشوشهم، لكنّه أتمّها لكي يفهم اليهود أنّه أتى **ليخلّصهم** من **الخطيئة والموت والشيطان**. لم يأت المسيح ليشفي أجسادهم فقط بل ليرعى أنفسهم إلى الفلسفة. الفرق بين شفاء النفس وشفاء الجسد هو على نفس القدر من الأهمية كالفرق بين النفس والجسد. لكن شفاء النفس هو الأعظم والأكثر غموضاً، فيما شفاء الجسد أكثر جلاءً وظهوراً. لهذا يقوم المسيح بما هو جلي وواضح، أي العجائب، لكي يبرهن ما هو أكثر عظمة وأقلّ ظهوراً، أي غفران الخطايا وخلاص الإنسان (القديس يوحنا الذهبي الفم).

في حالات شفاء الأرواح النجسة، كان المسيح أكثر اهتماماً بإفهام اليهود، من جهة بوجود الأرواح الشريرة، ومن جهة أخرى بأنّ سلطانه هو أقوى من هذه الأرواح. بحسب **القديس غريغوريوس بالاماس**، يُخرج المسيح الأرواح من المسوسين لكي نفهم أنّه هو الذي يخرج الشياطين ويمنحنا الحرية الأبدية. لهذا نصح **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «لا تطلبوا العلامات بل خلاص النفوس». ومن ناحية أخرى، غالباً ما يكون في العلامات شبهة التخيّل، أي قد يتمّ تفسيرها بطريقة مختلفة، ويمكن للشياطين أيضاً أن تنجز عجائب بتدبير إلهي، لكنها مختلفة عن تلك المتلازمة مع الحياة الطاهرة التي تسكت كل الذين يرون الإنسان الموسوم بالفضيلة. لهذا السبب أيضاً، العلامات وأشفية الجسد هي لغير المؤمنين وليست للمؤمنين (القديس يوحنا الذهبي الفم).

تظهر العلاقة بين تعليم المسيح وعجائبه في الكثير من العلامات. لقد شفى العميّ ومن ثمّ أعلن **أنّه نور العالم**. لقد أشبع خمسة آلاف بخمس أرغفة وسمكتين ومن ثمّ أعلن **أنّه الخبز النازل من السماء**، فيما كان يتحدّث فعلياً عن الإفخارستيا المقدسة. لقد ظهر للمرأة السامرية وفي الوقت نفسه كشف **أنّه الماء الحي**. أقام لعازر والآخرين، ابنة يايرس وابن أرملة نايين، وأعلن **أنّه القيامة والحياة**. يمكننا إيجاد هذه الصلات والارتباطات من بداية الأناجيل إلى نهايتها. يلاحظ **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن المسيح لم يثبت على واحد فقط من التعليم أو إنجاز المعجزات بل كان يستعمل هذا أو ذاك ليقدّم الخلاص. وهكذا، في بعض الأحيان أراد أن يظهر كمعلّم ذي سلطان بالعلامات التي أنجزها، وفي أحيان أخرى أراد من خلال تعليمه أن يزيد فائدة العلامات التي أنجزها.

وهكذا فإن لعجائبه كما لتعليمه الصفة الخلاصية. يرى **القديس نيقولا كاباسيلاس** في الصلوات الليتورجية **نبالة آلام المسيح** التي من خلالها تحقق خلاص البشر. نحن نعرف أن في الأنافورا الجملة التالية: «ذاكرين أوامر الخلاص وكل الأمور التي صارت لنا: الصليب والقبر والقيامة في اليوم الثالث والصعود إلى السماوات والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد...» نحن نرى هنا أن الآلام والصليب والقيامة والصعود والمجيء الثاني التي نتذكّرها ليست العجائب. يقول **نيقولا كاباسيلاس** أننا في هذا لا نتذكّر المعجزات، لأن الآلام والصليب أكثر أهمية منها لأنها أعمال الخلاص التي بدونها لم يكن الإنسان ليقوم، بينما المعجزات هي مجرد دلالات على الخلاص وليست منتجَة له ما يعني أن اليهود كانوا قادرين أن يؤمنوا بأن المسيح كان المخلّص الذي انتظروه.

✚ لقد تحدّثنا سابقاً عن كلمة اللّه، أي قوة اللّه غير المخلوقة، وأيضاً عن العلاقة بين كلمة اللّه والمعجزات. الآن علينا أن نذكر بعض الأشياء حول المعجزات التي قام بها المسيح أي أن ندرس قيمتها وصفتها اللاهوتيتين. يرى البعض أن العجائب هي استبعاد للقانون الطبيعي، أي أنهم يرون أن اللّه حين خلق العالم وضع القوانين الطبيعية في خليقته وعندما تتم المعجزات تُعلَّق هذه القوانين. هذه النظرة ساقطة لاهوتياً. أولاً، علينا أن نذكر أن عند آباء الكنيسة عقيدتين أساسيتين حول خلق العالم وعلاقة اللّه به. الأولى هي أنّ اللّه خلق العالم من العدم، والأولى أنّه يوجهه لا بوسائل مخلوقة بل بقوته غير المخلوقة. هذا يعني أنّه لا يوجد قوانين طبيعية تسوس الخليقة أي أن اللّه لم يخلق العالم ويتركه لقدره، بل هو شخصياً يديره بقوته غير المخلوقة المتماسكة المعتنية. لا يوجد قوانين طبيعية في الخليقة بل هناك قوانين روحية، وهي القوة الإلهية. إذا لم نرَ الأمور بهذا المنظار **نُغَرّب** اللّه عن العالم أو ننسب الحاجة إلى اللّه. لقد شدّد المسيح دائماً على أن الآب السماوي يعمل، فهو يطعم طيور السماء ويلبس الأرض (متى٦:٢٦-٢٨)، وهو يهتمّ بكل شيء. عندما يكون هناك بعض الأمور التي تتكرر بطريقة طبيعية فهذا لا يعود إلى قانون طبيعي بل إلى جدارة القوة الإلهية، أي أن اللّه يريد أن يتصرّف بالطريقة نفسها دائماً. من هنا أن العجائب ليست خرقاً للقوانين الطبيعية، وكأن اللّه يشكك بنفسه، بل فيما هو يعمل دائماً بطريقة ما، في لحظة محددة ينجز المعجزة بطريقة مختلفة. إنّها مسألة تدخل شخصي من اللّه في العالم، كما يفعل دائماً، كل مرة بطريقة مختلفة. مع هذا، في الحديث عن معجزات المسيح والذين ارتبطوا به، علينا أن نلاحظ نقطتين.

النقطة الأولى : بما أن المسيح هو إنسان كامل وإله كامل، والطبيعة البشرية التي اتخذها من العذراء تقدّست منذ لحظة الحَبَل الأولى، فهو قادر دائماً على القيام بالمعجزات، حتى منذ الولادة. لكن لم يكن مفترضاً به أن يقوم بالعجائب في عمر مبكر حتى لا يظنوا أنّه ليس بشريّاً. لهذا كان هناك حَبَلٌ لفترة تسعة أشهر وولادة ورضاعة ومرور هادئ للزمن، وقد انتظر إلى العمر المناسب ليبدأ عمله بين البشر. وقد قام بكل هذا ليكون سر التدبير مقبولاً. (القديس يوحنا الذهبي الفم).

يتبع

الملائكة و الشياطين

م. باسيليك شلينك

تتمة من العدد السابق

الفصل الثاني:

الشيطان، في يوم انتصاره!

أسلفنا القول ، بأنّ عالم الشياطين ، أو الملائكة الساقطين هو عالم فعلي واقعي حقيقة ينبغي أن نضعها في عاقلتنا على الدوام. وإذ قيل إعرف عدوّك ، فإنّنا ينبغي أن نواجه هذه الحقيقة الرهيبة حتى لا نؤخذ على حين غرّة ونقع تحت سلطان عالمهم الرهيب ...

واليوم نرى بأنّ الشيطان يستعلن أقصى قوّته بحسب ما تتنبأ به الأسفار المقدّسة بخصوص نهاية الأزمنة. (رؤيا ١٢:١٢) ، ويجد الشيطان ، مع أبالسته في الزمان الحاضر آلات طيّعة بين بني البشر ، لتنفيذ مقاصده ، كما لم يجد ذلك من قبل. بل أنّنا نقول بأن الأمر قد وصل إلى هذا الحدّ الرهيب ، الذي تُقَدَّم فيه العبادة للشيطان نفسه ، وذلك في البلدان المسيحيّة نفسها. إنّ «**القدّاس الأسوَد**» [١] يُمارس على المكشوف **في الولايات المتحدة ، وفي بريطانيا ، والمانيا الغربيّة** ، كما في أماكن أخرى من العالم.

نعم ... لقد دخلنا في عصر يمكن أن يُقال عنه بأنّ الشيطان وجنوده يحتفلون بيوم إنتصارهم وأسمى عصور إزدهارهم. لقد أصبحت معظم الدول المسيحيّة ، في كثير أو قليل تحت سلطانه. بل لقد نَجَحَ في أن يدفع جانباً كبيراً من الجنس البشري. ليشربوا من كأس الزانية العظيمة (رؤ١٧:٤)**الفائضة، بكل السحر ، والعفن الجنسي** .[٢] ومن الواضح أنّ بابل الزانية العظيمة بالإشتراك مع ضدّ المسيح (رؤيا ١٧:٣) هي التي تعمل على دفع البشريّة إلى الهلاك.

وإنّنا لنرى الشيطان ، في أزمنتنا الحاضرة ، يتّخذ سياسة جديدة تماماً ، لم يَسبق له أن سارَ فيها. فمنذ عصر النهضة الأوروبيّة نجح الشيطانَ إلى حدٍّ ما ، في نشر الأعتقاد الباطل بأنه لا وجود له، وحتى منتصف القرن السادس عشر كانت **الشيطانيّة أو مناجاة الشياطين والأرواح الشريرة ، والإستعانة بهم** ، فنوناً تُمارَس في الخفاء ، وما كان الكثيرون يُدركون شيئاً عن نشاط هذه الممارسات وفعاليّة الشيطان فيها ، حيث أنها تمارس سرّاً ، وكانت الجلسات السحريّة تُعقَد في الليل تحت جنح الظلام، والتمائم على سبيل المثال كانت تُلبَس خفية ، أما التعاويذ السحريّة فقد كانت تُعمَل في الخفاء ، والعديدون كانوا يُقاسون منها دون أن يعلموا أنّ سرّ عذابهم هو مهاجمات القوى الشيطانيّة ، وتحت ستار الخجل أو خوفاً من الإنتقام ظلّ كلّ شيء مختفياً، وحيثما

أستطيع كلّ شيء بالمسيح الذي يقوّيني ، لذالك أعطانا الربّ يسوع المسيح سلطاناً لندوس الحيّات والعقارب وكلّ قوّة العدوّ

وجد أولئك الذين قيّدهم الشيطان لإرادته ، وأصبحوا عبيداً له ، وآلات طيّعة بين يديه. كان أولئك يمارسون نشاطهم الشرّير في الساعات الأخيرة من الليل ، في الأندية السريّة ؛ أما اليوم فقد أُزيحَ الستار عن كل شيء ، **وأصبح الشرّ يُطلّ بوجهه متبجحاً، سافراً ، دون حياء.**

لقد أصبح نسيج الرذيلة ، والشيطانيّة ، واضحاً مرئيّاً لكل عين. وهذا يُظهر لنا الحقيقة بأن فم بئر الهاوية التي لا قرار لها (رؤيا ٩:١) قد فُتح إلى حدٍّ ما ـ لقد دخلنا عصر نهاية الأزمنة ، التي تصبح فيها الأرض مسرحاً للمعركة النهائيّة ـ كما ورد في سفر الرؤيا ـ بين **الشيطان وجنوده** ، **والله وملائكته**، أما إلى أى مدى قد تبجّحت قوى الشرّ الشيطانيّة وأسفرت عن وجهها البشع الكئيب فهذا واضح من الحقائق التالية ...

فبكل حريّة ، أصبحت القوى الشيطانيّة ، تتاجر بالجنس وسط الجماعات ، وتنطلق الأصوات للجميع داعية إلى إطلاق العنان ، إلى أقصى درجات التحرّر للشهوات الجنسيّة وليست الشهوات السويّة فحسب ، بل الجنس الشاذ المقلوب غير الطبيعي ـ خمر الدنس والإنحلال كما يعبّر عنها سفر الرؤيا ، وزيادة على ذلك تفشّي تعاطي المخدّرات والأقراص المخدّرة بين الشباب بصورة لم يسبق لها مثيل ـ حتى الصغار يتعاطونها .!

إنّ الشرّ في أزمنتنا الحاضرة يرفع رؤوسه من جحور الخفاء في كل مكان ، فهو لا يكتفي بأفلام الجرائم الرهيبة وصور الجنس الشاذ التي تُعرَض في بعض دور السينما ، ولا العروض المسرحيّة العارية التي تقدّم لراغبيها على بعض المسارح ، ولكن الأبالسة تغذّي الناس الآن بأقبح صور الجنس ، والجرائم البشعة

١) **القداس الأسود** هو قداس للشيطان ، **على عكس كلّ كلمة تمارَس في الكنائس التقليديّة** حيثُ يُدَنّس الخبز والخمر بوضعهما على جسد إمرأة عارية وينتهي القدّاس بالزنى معها ..

٢) بحسب الكلمة في الأصل اليوناني المترجمة إلى سحر في (رؤيا ١٨:٢٣) فإن يمكن تفسيرها على أنّها جرعة طيّبة لها فعالية سامة سحريّة ـ وفي هذا إشارة إلى الجواهر المخدّرة ، والأقراص السّامة التي يُدمنها الشباب في أزمنتنا الحاضرة كما لم يحدث في أي زمنٍ مضى.

في قلب كلّ بيت حيث يتكىء أفراد العائلات صغاراً مع الكبار لمشاهدة التلفزيون ؛ والجنس أيضاً قد تغلّغل ليس في بعض المقالات العابرة ، أو الأدب الرخيص ، بل في مجلاّت لها أهميتها ، وفي كتب تصدر عن دور نشر معروفة.

وليست الحياة المتحللة من كلّ قيد ، المنحلة في أمور الجنس ، هي الشيء الوحيد الذي يقدّمه الشيطان وجنوده للشعوب ، ففي السوق يقدّمون بضاعة أخرى ، تحت ستار ما يسمونه بالفكر الثاقب الجديد وتحت شعار «**الشخصيّة المستقلة**» يقدّم الشيطان نظرية الإنسان المستقل عن اللّه ، الذي يختار مقاييسه وَمُثُله دون أدنى تقيّد بأي سلطان ، حتى سلطان اللّه ، وكنتيجة لهذا يستطيع أن يتحلل من «**نير الوصايا الإلهيّ**» لأنّه قد أصبح له الحقّ أن يقرّر ما هو خطأ ، وما هو صواب ؛ إنّه يستطيع أن يقوم بما يسرّه ، وما يُشبع ذاتيّته ، ويُبهج رغائبه.

صحيح أن مثل هذا الدافع كان موجوداً من قَبل في المجتمع ، ولكنه كان هناك في صُوَر فرديّة ، أو جماعات منعزلة ، أما الآن فقد إنحرف الإتجاه العالمي بصورة لم يسبق لها مثيل ، **إلى نبذ وصايا اللّه كأساس لا يتوافق مع روح العصر** ، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يرتكب الخطأ ، دون أدنى شعور بتوبيخ الضمير ، وما دام المجتمع يبارك هذه التصرفات ، والخطيّة يمكن أن تُمارَس بدون أدنى شعور بالخجل ، فلماذا السريّة ؟ ولماذا التكتّم ؟

ولكن هذا يعني أن الشيطان قد اقتنصنا لإرادته وأنّنا قد أصبحنا ننتمي للخطيّة ، وحينما نخطىء فإنّ الشيطان يصبح له الحقّ فينا ، ما لم نَتُب ونرجع عن خطيّتنا ، ونأتي بحياتنا الملوّثة ، عند صليب يسوع المسيح ، لننال التطهير.

نعود فنقول بأنّ الشياطين في أيامنا الحاضرة ، بقواتها الجبّارة الطاغية . وتأثيراتها الواسعة على الناس ، قد أصبحت ظاهرة لكل ذي عين سليمة ، كما أن نتائجها قد أصبحت أيضاً واضحة ...

وما تقدّمه للإنسان ليس سوى الإشباع لكل رغبة ، ولكن هل هناك الإكتفاء؟ حاشا. **هناك الفراغ ومذلّة النفس ، وهناك صغر الشخصيّة وتفاهتها وتجرّد الإنسان عن آدميّته ، مما يفسّر ظاهرة إرتفاع الجرائم ، وزيادة معدّل حالات الإنتحار ، وانتشار القلق العصبي** ؛ إنّ أولئك الذين أسلموا **مقْوَد** الحياة للشيطان ، وعلى الأخص بين الشباب ، يظهر في حياتَهم إنتكاس المُثُل ، والدوافع ، مما يجعلهم عاجزين عن مجابهة الحياة ومشكلاتها ، وإحدى النتائج المترتبة على هذه هي **الكبت** ، الذي يفضي بدوره إلى الحالات النفسيّة المَرَضيّة حتى بين الأطفال ؛ إنّ الذي يقبل الأنطواء تحت سلطة الشيطان ، ويخضع لإغراءاته ، ينتهي إلى الفراغ والمخاوف ، بل إلى اليأس القاتل ، وهذا ما يتميّز به شباب العصر الحاضر مما يدفعهم إلى الهروب في دوائر المخدر والأقراص السامة ، وكلما إزدادوا هروباً من عالم الواقع على هذا النحو ، زادت هوّة اليأس في حياتهم ...

وهذه الظاهرة المأساويّة يمكن أن نلمسها في حياة الكثيرين

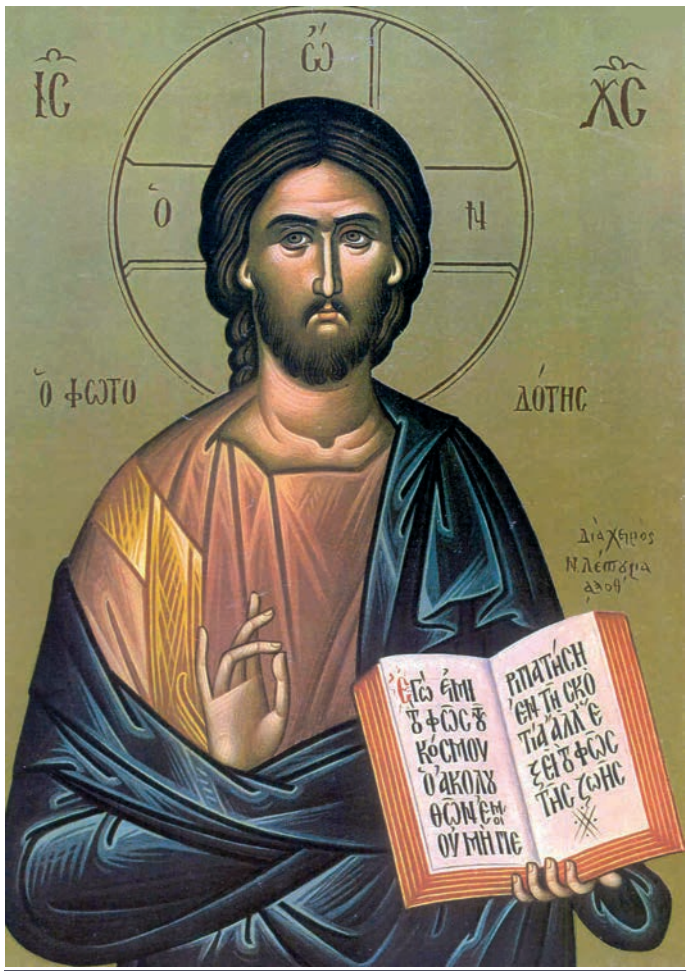

«فلا تشاكلوا هذا الدهر. بل تَغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة اللّه الصالحة المَرضيّة الكاملة»
(رومية ١٢:٢)

ممن أطلقوا العنان لشهواتهم وأصبحوا يتمرّغون في الحمأة ، فحياتهم لا تتميّز فقط بالتعاسة بل أنّهم ينقلبون إلى الثورة والوحشيّة ؛ وفي نفس الوقت تقيّدهم هذه العادات فيصبحون متواكلين عاجزين عن أن يكون لهم كيانهم المستقل ، ينساقون وراء كل حركة دون أن تكون لهم المقدرة على تمييز الأفكار والآراء. بهذا يصبحون قابلين للتشكيل بأي شيء يؤثّر على عقولهم ، وما أكثر الوسائل المنوّعة التي يتخذها الشيطان أداة للتأثير في النفوس والعقول ، ويكفي أن نتطلّع في ظلمة الليل ونحن نمرّ بالبيوت بنوافذها المفتوحة حيث تشع منها أضواء التليفزيون المتراقصة وما **تقدّمه من برامج جهنميّة**.

لقد وصل الشيطان عدو السعادة الإنسانيّة إلى أهدافه في أزمنتنا الحاضرة ، والشعوب تتهافت على **كأسه السّامة** ... **من الجنس والمخدرات** ، التي تثمر ثمارها : **المرض والموت وفي النهاية الهلاك الأبديّ** ، لقد نجح الشيطان في تحطيم أجساد البشر بل إنّه قد نجح أيضاً في تحطيم نفوس البشر ؛ أليسَ الإندفاع في الجنس القبيح يبلّد الأحاسيس بل يميتها؟ وحينما لا يكون هناك غذاء سليم ، تنتهي النفس إلى الخواء والتعاسة واليأس والشقاء؟.

يتبع في الدد القادم

مدخل إلى كتاب المزامير ٣

لأبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

تتمة من العدد السابق

+ المزامير مرآة النفس:

إذا كان ترتيب المزامير على هذا النحو، فمن المستطاع للمطّلعين عليها أن يجد كلّ منهم فيها صورة لحركات نفسه وحاله وكُلَّ شيء في مكانه لتعليمه. كما ويلقى فيها ما يمكنه أن يَقوله ليَرضي اللّه وبأية أقوال يقدر أن يصلح نفسه ويشكر الربّ، خاصة وأنه يتوجب علينا أنْ نعطي جواباً للديّان لا عن الأفعال فقط بل عن كلّ كلمة بَطالة أيضاً.

فإن شئْتَ أن تطوّب أحداً يدلُّكَ كتاب المزامير على كيفية التطويب وأي مزمور يكون مناسباً لذلك، هنا عندك المزمور: الأول، والواحد والثلاثون، وألأربعون، والواحد وألأربعون، والمائة والثامن عشر، والمائة والسابع والعشرون.

وإن شئت ثَلْبَ اليهود لاغتيالهم المسيح فلك أن تقول التسْبحَة الثانية. وإن كنت مطروداً منهم وكَثُرَ محاربوك فإقرأ المزمور الثالث. وإن إستغثت بالربّ واستجاب لك وأردت أن تشكُرهُ فرتّل المزمور الرابع، والمائة والرابع عَشَرَ. وإن نظرت أشراراً راموا أن يكمنوا لك فصلِّ صباحاً المزمور الخامس. وإن أحسست بتهديد الربَّ ورأيت ذاتك مضطرباً فاقرأ المزمور السادس، والسابع والثلاثين. وإن تآمر عليك أُناسٌ كما تآمرَ أشيطوفال على داود وأخبرك أحدٌ بذلك فرتّل المزمور السابع وثق باللّه في شأن خلاصك.

ومتى رأيت نعمةَ المخلّص شاملة كلَّ صقع وَرُمْتَ تحية ربك فدونك المزمور الخمسين، والثمانين. وإن شئت أن ترتل تسبحة العصر لتشكر الرب فعليك بالمزمور الخمسين نفسه. ولا تحسبنَّ ذاتك قادراً على تعطيل العدوّ وتخليص الخليقة، فإن علمت بأن هذه من مناقب إبن اللّه فقل المزمور التاسع. وإن سعى أحدٌ إلى إقلاقكَ فاتكل على الرب ورتِّلْ المزمور العاشر. ومتى عانيت إستكبار كثيرين من الناس وإفراط شرّهم وعدم البرِّ فيهم فالتجئ إلى الربّ وقُل المزمور الحادي عَشَرَ. وإن تمادَى أعداؤك في مكرهم فلا تيأس ولا تظن أنك منسيٌّ عند الربّ بل تضرّع اليه ورتّل المزمور السادس والعشرين. وعندما تسمع أُناساً يجدّفون على اللّه بشأن رعايته وعنايته فلا تشاركهم في كفرهم بل إتجّه إلى ربّك وأقرأ المزمور الثالث عَشَرَ، والثاني والخمسين. ولو رغبت أن تعرف من هو المستعد للكوت السماوات، فاقرأ المزمور الرابع عَشَرَ.

وإن إحتجْتَ إلى الصلاة دفعاً لمقاومتك ومحاصري نفسك فسبّح بالمزمور السادس عَشَرَ، والثامن والثمانين، والمائة وألأربعين. وإن شئت أن تعلَم كيف صلّى موسى فعليك بالمزمور التاسع والثمانين. وان خَلُصْتَ من أعدائك ونجوت من مضطهديك فرتّل المزمور السابع عَشَرَ. ومتى أذهلك نظام الخليقة ونعمة عناية اللّه فرتّل المزمور الثامن عَشَرَ، والثالث والعشرين. أما إذا رأيت أُناساً منحصرين متضايقين فادعُ لهم مردداً أقوال المزمور التاسع عشر. ومتى رأيت ذاتك والرب يرعاك وأنت تسلك حسناً فرتّل المزمور الثاني والعشرين.

القديس أثناسيوس الكبير

وإن نَهَضَ الأعداء عليك فارفع نفسك إلى اللّه وأقرأ المزمور الرابع والعشرين، فتراهم يأثمون عبثاً. وإن ألحَّ أعداؤك وكانت أيديهم مفعمة دَماً وراموا إهلاكك فلا تسلّم الحكم للناس، لأن أمور البشر مريبة، بل إلتمس قَضاءَ اللّه الذي هو وحده الديان، واتْلُ المزمور الخامس والعشرين، والرابع والثلاثين، والثاني وألأربعين.

وإن أشتدت صَوْلَتُهم عليك وازدروا بك فلا تفزع بل رتّل المزمور السادس والعشرين. وبما أنَّ الطبيعةَ البشريّة ضعيفة، فإن كان أعداؤك وقحين فلا تلته بهم، بل إضرع إلى اللّه قائلاً ما في المزمور السابع والعشرين. وإن شئت أن تشكر بالذهن فرتّل المزمور الثامن والعشرين. ولو رغبت في تجديد بيت ذاتك ونفسك القابلة للربّ وكذلك بيتك الحسّي الذي تسكن فيه بالجَسَد فاقرأ المزمور التاسع والعشرين، والمائة والسادس والعشرين الذي هو من مزامير الدرجات. ومتى رأيت ذاتك مضطَهَداً من جميع الأقارب والأصحاب لتمسك بالحقِّ فلا تَخُرْ ولا تفزع من بغض معارفك بل كن للمستقبَلات متأملاً ورتّل المزمور الخمسين.

وحين تبصر المصطبغين القادمين من السيرة الفاسدة، وتعجب من وداد اللّه ومحبّته للبشر فرنم لهم المزمور الحادي والثلاثين. وإن أردت أن تصلّي وجماعة الرجال العادلين المستقيمين فرتّل المزمور الثاني والثلاثين. ولو رغبت في الشكران إثر وقوعك بين أعدائك وخلاصك منهم بالحكمة ونجاتك، فادعُ الودعاء ورتّل في حضرتهم المزمور الثالث والثلاثين. وإن رأيت مماحكة المنافقين ومناضلتهم في الشرّ، فاقرأ المزمور الخامس والثلاثين فتبصر أنهم كانوا هم أنفسهم سبباً لخطاياهم.

وإن نظرت مخالفي الشريعة يتشامخون على الوضعاء وأردت أن تنصح بعضاً من الناس أن لا يصغي إليهم ولا يغايرهم لكونهم يخمدون سريعاً فاقرأ لذاتك ولأصحابك المزمور السادس والثلاثين. وأيضاً إن شئت أن تحترس من العدو المتسلّط وأردت تحريك نفسك عليه فرتّل المزمور الثامن والثلاثين. وإن صبرت على الضيق لدى تكاثر الأعداء وأردت أن تعرف النفع الصائر من الصبر، فرتّل المزمور التاسع والثلاثين. وإن رأيت جماعة من الفقرآء والمساكين وأردت أن تصنع لهم رحمةً فاقرأ المزمور الأربعين. وإن إزددت شوقاً إلى اللّه وسمعت الأعداء يثلبونك فلا تضطرب بل تيقن من الثمر الباقي الحاصل من شوقك هذا وعَزِّ نفسَكَ برجائك باللّه مخففاً عنك بقراءة المزمور الحادي والاربعين. وفيما تريد أن تتذكّر على التوالي إحسان اللّه الصائر إلى آبائنا، وأمر خروجهم من مصر وترددهم في البرّية، وصلاح اللّه وأن الإنسان عديم الشكرَ فاقرأ المزمور الثالث وألأربعين، والسابع والسبعين، والثامن والثمانين، والمائة والأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والثالث عَشَرَ. وإن إلتجأت إلى اللّه ونجوت من الأحزان الصائرة عليك وشئت أن تشكر اللّه فلك أن تقرأ المزمور الخامس وألأربعين.

وإن أخطأت وندمت بتوبة وقبلت التوبيخ، فلك أن تقرأ أقوال الإعتراف والتوبة الموجودة في المزمور الخمسين. وإن وَشيَ بك وتفاخر عليك النمّام فامض في سبيلك وقل المزمور الحادي والخمسين. وإن طردك الغرباء وأرادوا تسليمك فلا تتهاون بل ثق بربّك مسبّحاً واقرأ ما في المزمورين الثالث، والخامس والخمسين. ولو تواريت في مغارة هرباً من إضطهاد فلا تشكّ ولا تخشى، لأن لك الأقوال المناسبة، الّتي تُسليك في الضّيق، من المزمور السادس والخمسين، والحادي وألأربعين. وإن رامَ عدوّك ضَرْبَ حصار عليك وهربْتَ منهُ فاستودع اللّه النعمة واكتب أحرفها في نفسكَ وارفعها نُصباً لتكون تذكاراً مستمراً ، واقرأ ما في المزمور الثامن والخمسين. وإن كان الاعداءُ يحزنونك ويتظاهرون بمحبتك فيما يتآمرون عليك فبإمكانك أن تعزّي نفسك من الغم إنْ سبحت ربّك بقراءة المزمور الرابع والخمسين. وإن شئت تخجيل المرائين المغيّرين وجوههم فاقرأ المزمور السابع والخمسين.

أما الذين يهجمون عليك طالبين نفسك فقابلهم بالخضوع لربّك واثقاً به واقرأ ما في المزمور الحادي والستين. وإن كنت مطروداً وفررت إلى مغارة فلا تفزع من الوحدة بل كمصاحب اللّه هناك إبتكر إليه، ورتّل المزمور الثاني والستين. واذ يهدّدك الأعداء ويترصدونك ويبالغون في الاستقصاء عليك فلا تجبُن منهم ولو كانوا جمهوراً لأنَّ رشقهم كنبل الأطفال يكون عند ترتيلك المزمور الثالث والستين، والسابع والستين، والتاسع والستين، والسبعين. وإذ رغبت في أن تسبّح اللّه، فرتّل المزمور الرابع والستين. وإن شئت أن تعظ أُناساً في أمر القيامة فرتّل ما في المزمور التاسع والستين. ولو وعظتهم من قَبل الرب مذيعاً رآفاته عليهم فسبحّهُ مرتلاً المزمور السادس والستّين. وحين ترى الكُفّار متنعمين ولهم سلامة، لا تشك ولا تتزعزع بل إقرأ ما في المزمور الثاني والسبعين. وإن سخط اللّه على الشعب، فلك ما يعزّيك في المزمور الثالث والسبعين. وإن احتجت إلى الاعتراف، فرتّل المزمور الرابع والسبعين، والحادي والتسعين، والمائة وألأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والسبعة، والمائة والخامس والثلاثين، والمائة والسابع والثلاثين.

وإن عيّرك اليونانيين والهراطقة بشأن معتقداتك التي يجهلونها وهي الكنيسة وحسب ، فإنك قادر أن تفهم ذلك لو قرأت ورنّمت ما في المزمور الخامس والسبعين. وإن حصرك أعداؤك فلا تيأس ولو اضطربتَ بل أقم مصلّياً، فإن استجاب اللّه دُعاك فاشكره وفْقَ المزمور السادس والسبعين. وإن نَجَّس الأعداء بيت الرب وقتلوا القديسين وطرحوا أجسادهم لطيور السماء، فئلا تتراخى وتفزع منهم، وَجِّه طرْفك صوب ربّك وقل المزمور الثامن السبعين. وإن شئت في عيد أن تسبّح فاجمع عبيد اللّه ورتّل المزمور السادس والثمانون، والرابع والتسعين. وإن تقاطر الأعداء من كل جهة على بيت اللّه وراموا الإضرار بالإيمان القويم فلا تخشهم ولتكُن لك رجاء كلمات المزمور الثاني والثمانين. وإن رأيت ربك ومساكنه الابديّة وكان لك إشتياق اليها كما كان للرسول فاقرأ المزمور الثالث والثمانين. ومتى كفَّ عنك السخط وأردت أن تشكر فلك أن تقرأ المزمور الرابع الثمانين، والمائة والخامس والعشرين. وإن شئت أن تبرز الفَرْقَ بيت الكنيسة الجامعة والمنشقّين فقل لهم ما هو محرَّرٌ في المزمور السادس والثمانين.

ولو أردت أن تدعو إلى عبادة اللّه وتُثبتَ أنَّ المتّكل عليه لا يحزن ولا يخاف فلك أن تسبِّح على نحوِ ما جاء في المزمور السادس. وإن شئت أن تصلّي في السبت فلك المزمور الحادي والتسعين. وإن شئت أن تشكر يوم الأحد فلك المزمور الثالث والعشرين. ولو أردت أن تصلّي في الثاني من السبوت فاقراء ما في المزمور الرابع وألأربعين. وإن شئت أن تسبِّح في يوم الجمعة فلك المزمور الثاني والتسعين لأنه قد وضع لما ابتُني البيت، مع أن الأعداء حاولوا محاصرته، لذلك سبّح المؤمنون اللّه تسبحة الظفر. وإن وقع سَبْيٌ واندَكَّ الهيكل وابتُني ثانيةً فرتّل المزمور الخامس والسبعين. وإن سَكَنت الأرض من المحاربين وشئت أن تسبّح اللّه فلك المزمور السادس والتسعون. وإن شئت أن ترتل في الرابع من الاسبوع فلك المزمور الثالث والتسعون لأن الرب في ذلك الوقت لما رُفع ابتدأ ينتقم من غلبة الموت ويشهرها جهاراً. وإن قرأت الانجيل ورأيت أنَّ اليهود ضربوا مشورةً على الربّ في اليوم الرابع من الاسبوع الذي هو بدءُ مجاهرة العدو، فعند ذلك رتّل المزمور الثالث والتسعين.

ومتى رأيت عناية الرب بالكلَ وربوبيّته وأردت أن تَحُثَّ أُناساً على الايمان والطاعة لتقنعهم فرتّل المزمور التاسع والتسعين. وإن عرفت قدرة حكومة العليّ وعلمت أنَّ اللّه سبحانهُ يمزج الحكم بالرحمة وشئت أت تتقدم إليه فلك الأقوال الواردة في المزمور المائة. وبما أن طبيعتنا ضعيفة فإن إفتقرتَ بسبب ضيقات العمر وأردت أن تتعزّى فلك المزمور المائة والواحد. وحيث أنّهُ واجبٌ علينا أن نشكر اللّه على كل شيء وفي كل شيء فكلما أردت أن

تبارك، فردِّد المزمور المائة والاثنين، والمائة والثلاثة. وإن شئت أن تسبح اللّه وتعرف بأيِّ حال وعلى أيِّ شيء ينبغي التسبيح وماذا يجب أن يقول المسبِّح فلك المزمور المائة والاثنان، والمائة والستة، والمائة والرابع والثلاثون، والمائة والخامس وألأربعون، والمائة والسادس وألأربعون، والمائة والسابع وألأربعون، والمائة والثامن وألأربعون، والمائة والخمسون. وإن كان لك إيمانٌ، كما قالَ الربُّ وتركن إليه فيما تقول مصلّياً فاتْلُ المزمور المائة والخامس عَشَرَ.

وإن شعرت بذاتك أنَّك تتقدم بألأعمال الصالحة، فعلى قدر ما تقول «أنسى ما وراء وأمتدُ إلى أمام»، فلك على كُلّ نجاح أن تقرأ تسابيح الدرجات الخمس عَشَرَة (من مزمور١١٩ـ مزمور ١٣٣). وإن سَبَتْكَ الأفكار الغريبة وشَغَلَتْكَ بذاتك وقيّدتك فكُفَّ عن الأشياء التي أدركت ذاتك مخطئاً بها، وابك عن الخطيئة التي وقعْتَ فيها نظير الشعب في ذلك الزمان، وقُل ما في المزمور المائة والسادس والثلاثين. وإن احتسبت المحن تجربةً لك وشئت بعد ذلك أن تشكر فلك المزمور المائة والثامن والثلاثون. وإن كنت محاصَراً من الأعداء وأردت الخلاص فقل ما في المزمور المائة والتاسع والثلاثين. وإن أردت أن تصلّي وتتضرّع فرتّل المزمور المائة وألأربعين، والمائة والثاني وألأربعين، والمائة والخامس وألأربعين. وإن تسلّط عليك وعلى الشعب عدوّ جبّار مثلما تسلط جليات على داود فلا تخشَ بل ثق أيضاً، نظير داود، واتلُ المزمور المائة والثالث وألأربعين. وإن عَجبت لإحسان اللّه وذكرت جودَهُ فقل الكلمات التي قالها داود في المزمور المائة وألأربعة.

وإن شئت أن تسبّح الربّ فلك المزمور الخامس والتسعون، والسابع والتسعون. وإن كنتَ صغيراً وانتُدبْتَ لقضاء حاجة إخوتك فلا تتشامخ عليهم، بل أعط مجداً للربّ الذي انتخبك ورتّل المزمور الذي بعد المائة والخمسين الخاص بداود. وإن أردت ترتيل مزامير هلِّل فلَكَ المزمور المائة وألأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والعشرة، والمائة والحادي عَشَرَ، والمائة والسابع عَشَرَ، والمائة والثامن عَشَرَ، والمائة والرابع والثلاثون، والماية والخامس وألأربعون، والماية والسادس وألأربعون، والمائة والسابع وألأربعون، والمائة والثامن وألأربعون، والمائة والتاسع وألأربعون، والمائة والخمسون.

وان أردت أن ترتّل ما هو في أمر المخلّص وحده فإنك تجد ذلك في كل مزمور وعلى الخصوص في المزمورين الرابع وألأربعين، والمائة والتسعة اللذين يخبران باتّلاده الخاص من الآب وحضوره بالجسد. وأما المزموران الحادي والعشرون، والثامن والستون فينبآن بصلبه الإلهي والتسليم الذي احتمله من أجلنا والآلام التي كابدها. أمّا المزموران الثاني، والثامن فيشيران إلى خيانة اليهود وشرّهم ووشاية يهوذا الاسخريوطي. وأما المزامير العشرون، والتاسع وألأربعون، والحادي والسبعون، فيخبرون بملكه وبقوة قضائه وبإعادة حضوره إلينا بالجَسَد. والمزمور الخامسَ عَشَرَ يرينا قيامةَ جسده. والمزموران الثالث والعشرون، والسادس وألأربعون يخبّرانَ بصعوده إلى السماوات. وأما المزامير الثاني والتسعون، والخامس والتسعون، والسابع والتسعون، والثامن والتسعون متى تلوناها علمنا بجود المخلّص الصائر إلينا من آلامه.

+ لماذا ترتّل المزامير بألحان وترنّم؟

هذا أيضاً أمر يحتاج إلى توضيح، لأنه يوجد قوم يرتجلون القول ولو كانوا متيقنين من أن المزامير مُلهَجٌ بها من اللّه، لكنّهم يتوهّمون أنَّها تؤدّي ملحنَّة لغاية حُسن النغمة. ■ **إنتهى**

الغبار

الغبار : هي الذرات الصغيرة والدقيقة جداً من بقايا الأوساخ والتراب ، التي يتناقلها الهواء. وتَعْلَق بالأرجل والأجسام الصلبة. وفيما يلي ثلاثة معانٍ جامعة للغبار في الكتاب المقدّس:

١) نفض الغبار عن الأرجُل والأحذية لا للنظافة بل كعلامة لترك كلّ شيء قد يعلق بالإنسان بعد أن يترك مكاناً ما إلى مكان آخر ، سواء أكان المكان بيتاً أم بلدة أم بلاداً . فكان اليهوديّ ينفض غبار حذائه بعد أن يغادر بلداً وثنيّاً حتى يتخلّص من باقي آثار الوثنيّة. وهذا ما فعله بولس وبرنابا بعد أن غادَرا أنطاكية بيسيذية إلى إيقونيّة (أع١٣:٥١). بل المسيح نفسه دعا تلاميذه إلى الخروج من أي بيت أو مدينة ترفضهم ونَفض غبار أرجلهم من ورائهم (مت١٠:١٤ ، مر٦:١١) . ولا تزال هذه العادة تحمل المظهر نفسه في بلاد الشرق إلى اليوم. ويفعل ذلك مَن يخرج من بيتٍ ما فاشلاً في تحقيق مشروع له.

٢) تذرية الغبار (والتراب) في الهواء ، كمظهر للغضب والثورة والتهديد ، وهو ما يحصل ، عفواً ، بمجرّد تجمّع عدد من الثائرين أو المتوعّدين. إذ أن الغبار يرتفع في الهواء. إذا كان التجمّع والصخب في أرض خلاء. وقد ذرّى الغبار في الجوّ لما تجمّع اليهود حولَ بولس في أورشليم، وسلّموه إلى المعسكر (أع٢٢:٢٣) وذرّاه شمعي ، وهو يسير مقابل داود ويشتمه (٢ صم١٦:١٣).

٣) الغبار الذي تحمله الزوابع ويبدو كأنّه ينزل من السماء كالمطر. وهو أمرٌ شائع في المناطق الصحراويّة أو القريبة من الصحاري. ولذلك هدّد موسى العبرانيين ، في خروجهم من مصر إلى فلسطين بأنّ اللّه يجعل المطر غباراً وتراباً ينزل عليهم من السماء. إن هم لم يسمعوا صوت الربّ إلههم ولم يعملوا بوصاياه وفرائضه (تث٢٨:٢٤).

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء الصخرة (٧)

«ثمّ ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من بريّة سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رفيديم. ولم يكن ماءٌ ليشرب الشعب * فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني. لماذا تجرّبون الربّ. * وعَطِشَ هناك الشعب إلى الماء. وتذمّر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. * فصرخ موسى إلى الربّ قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب. بعد قليل يرجمونني. * فقال الرب لموسى مُرّ قدّام الشعب وخُذ معَك من شيوخ إسرائيل . وعصاكَ التي ضربتَ بها النهر خُذها في يدك واذهب. * ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماءٌ ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. * ودعا إسم الموضع مسَّه ومَريبه من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا» (خروج١٧:١-٧).

الصخرة دوماً تشبه المسيح:

بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول:

«فإنّي لستُ أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وفي البحر ، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنّهم كانوا يشربون من صخرة روحيّة تابعتهم والصخرة كانت المسيح» (١كو١٠:١-٤).

ولكن العذراء مريم تحمل وجه الشبه في الصخرة:

١ ـ الصخرة صمّاء لا ماء فيها ولا حياة ، ولكنها أخرجت ماءاً أروى العطاش .. هكذا العذراء أيضاً .. فهي بنت .. وبكر .. وعذراء .. وأنجبت لنا ماء الحياة. وقد قال السيّد المسيح عن نفسه: « من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو٦:٣٥) . «من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ» (يو٧:٣٧). وفي حديثه مع المرأة السامريّة قال: «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديّة» (يو٤:١٤).

٢ ـ الوجه الثاني من الشبه: كما أن الماء خرج من الصخرة ولم تنكسر ولم تتصدّع .. هكذا المسيح خرج من رحم السيّدة العذراء ولم ينفكّ ختم بكوريتها ، بل بقيت على عذراويتها. وهذا ما أثبتته نبوّات الأنبياء.

فأشعياء النبيّ يقول:

«ها إنّ العذراء تحبل إبناً وتدعوا إسمه عمانوئيل» (أش٧:١٤).

وفي إنجيل القديس متى ورد:

«وهذا كلّه كان لكي يتم ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون إسمه عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا» (متى ١:٢٢-٢٣).

فالمنظر الرؤى هنا يسجّل عن العذراء مريم إنها في:

حالة عذراوية ، وحالة حمل ، وحالة ولادة غير منفصلين ، فدوام البتوليّة مرتبط إرتباطاً كليّاً بنوع المولود.

فدوام البتوليّة جزء لا يتجزأ من حقيقة التجسد. لذلك تكتب العذراء مريم في الأيقونات مع إبنها وخالقها الربّ يسوع المسيح. فلا مجال للإنفصال ما بين المسيح وأمّه الكليّة القداسة لما فيه من رابط لاهوتي عميق يوحّد ويثبّت هذا الإتحاد فيما بينهما.

حكم وأمثال

لا قصاص أشدّ من توبيخ الضمير

كلّما عجبت بنفسك هزأ الناس بك

العفّة أحسن واق من أوبئة الرذائل

عيد القديسين بطرس وبولس

عظة للقدّيس غريغوريوس بالاماس

رئيس أساقفة تسالونيكي

* ذكر الصدّيقين:

١ ـ ذكر القدّيس في عيده فرصة مشتركة للجميع من أجل الإبتهاج ، وَدَاعٍ للفائدة للمحتفلين به. لأنّ «ذكر الصدّيق يكون بالمديح» كما يقول الحكيم سليمان. (الأمثال ١٠:٧).

«وإذا مُدحَ الصدّيق تُسَرّ الشعوب» لأنّه كما أنّه في الليل عندما نُشعل المصباح يضيء النّور من أجل فائدة الحاضرين وتمتّعهم، هكذا فإنّ حياة كلّ قدّيس مرضيّة للّه ونهايته المغبوطة والنعمة التي منحها إيّاه اللّه بسبب نقاوة عيشه تبرز في الوسط مثل نار شاعلة عن طريق الذكرى ، وتقدّم للمجتمعين الإبتهاجَ الروحيّ والفائدة.

وكذلك عندما تخصب الأرض ، لا يبتهج الفلاّحون فقط بل وأيضاً البشر كلّهم (لأنّ التمتّع بثمار الأرض يعود بالفائدة للجميع). هكذا فإنّ أثمار القدّيسين من أجل اللّه عن طريق الفضيلة لا يُبهج فقط فلاّح النفوس بل وأيضاً جميعنا ما دامت الثمار تظهر من أجل فرح نفوسنا وتمتّعها بالبهجة.

ومن جهة ثانية فإنّ القدّيسين ، وهم بعد حاضرون في الحياة الحاضرة ، يحثّون الكلّ على الفضيلة ، كل الذين يسمعونهم ويشاهدونهم بفطنة لأنّهم أيقونات حيّة للفضيلة ، أركان تجلب كل خير ، كُتب ناطقة حيّة تتكلّم بكلّ ما يلزم من أجل الإرشاد إلى ما هو فوق .

وعندما ينتقلون من هذه الحياة ، عن طريق ذكرهم ، يحفظون لنا فائدتهم بلا زوال. إنّ ذكرَ أعمالهم الصالحة هو مديح لهم وواجبٌ علينا من أجل تواصل الفائدة وهو الآن في العيد الحاضر مفيدٌ لنا على كلّ حال.

٢ ـ عندما نتذكّر أعمالهم لا نضيف شيئاً على خيراتهم. وكيف نستطيع ذلك ما دمنا لا نستطيع حتى أن نستعرض فضيلتهم كلها؟ ... عندما نمتدحهم لا نزيد شيئاً على خصالهم بل نزيد الكثير من الخيرات العائدة إلينا من قِبَلهم عندما نرفع أنفسنا إليهم مثل مصابيحَ مضاءة من اللّه وعندما نُدرك بازدياد القدرة الخلاّقة الصادرة عنهم ونتقبّلها.(الخلاقة : صانعة الخير والجمال Kallopios)

٣ ـ إذا كان ذكر أيّ قدّيس يتمّ للأسباب المذكورة بالترانيم والمدائح الواجبة ، فكم بالأحرى علينا أن نتمّم ذكرى **القدّيسَين الرّسولَين بطرس وبولس رأس جوق الرّسل؟** إنّهما أبَوان مشتركان لكلّ مَن يحمل إسم المسيح ، للرّسل ، للشهداء ، للأبرار ، للكهنة ، للرعاة والمعلّمين ، للرعيّة والموعوظين كونهما رئيسيّ الرعاة ، رئيسيّ ومُشَيّديّ التقوى والفضيلة العامة ، نورَيّ العالم ينشران كلمة الحياة (فيليبي ٢:١٦). يفوقان إشراقاً على كلّ الذين لمعوا في التقوى والفضيلة ، كما تفوق الشمس على الكواكب الأخرى وكما تفوق السماء على السموات محدّقين بمجد اللّه العلويّ. يتخطّيان عظمة السماوات وجمال الكواكب وسرعتهما إلى حدّ أنّهما يُظهران ما يفوق المحسوس ، على كلّ ما في العالم وما في السماء. ينيرانها كلّها بأشعّة النور «ليس عندهم تغيير ولا ظلّ دوران» (يعقوب ١:١٧).

لا يُخرجان فقط من الظلمة النّور العجيب ، بل وفي عطائهما يجعلان الآخرين أنواراً ، مصدراً للنور حتى إنّ كلّ واحد من هؤلاء في المجيء الثاني وظهورالنور الأوّلي الكلمة الإله الإنسان سوف يُشرق كالشمس.

٤ ـ لقد ظهر لنا مثل هؤلاء الأنوار في هذا اليوم. الأوّل مع الثاني يبهجان الكنيسة. لأن اللقاء معهما لا يسبّب أي إنكساف بل مزيداً من النور. ومعهما لا يجلس الأوّل فوق بطريقة يعلو على الآخر ويظلّله ، ولا يرأس الأوّل في النهار والثاني في الليل لكي يكون هذا الأخير في الظلّ ، لا يُشرق الأوّل نوراً والثاني يأخذ منه حتى إنّ شعاعه يضعف مع المسافة. يشترك الإثنان **في المسيح الواحد المصدر الذي لا ينفذ ، النور الأزلي** ويتساويان في العلوّ والمجد واللمعان. **لذلك اللقاء بينهما هو وحدة مشتركة تُفيض إشراقاً مُضاعفاً لنفوس المؤمنين.**

* تجربة بطرس: سقوطه وتوبته

٥ ـ لكن الجاحد الأوّل الذي دفع الإنسان الأوّل إلى عصيان وصيّة اللّه ، رأى اللّه جابل آدم الذي هو أي الجنس البشري،رآه يجعل بعد ذلك بطرس أباً جديداً للمؤمنين باللّه بل وأكثر من ذلك

سمعه يقول لبطرس: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (متى١٦:١٨). بعد أن علم الشيطان رئيس الشرور كل ذلك ، أخذ بدافع شرّه الفاسد يجرّب بطرس رئيس جنس المؤمنين كما فعل سابقاً بآدم رئيس جنس البشر. وكان يعلم أيضاً أنّ بطرس يتزيّن بالحكمة ويشتعل بمحبّته للمسيح ، لذلك لم يتجرأ على محاربته شخصيّاً بل حاول أن يضلّه بخدعة من **(جهة اليمين)** بإقناعه أن يعمل أكثر ممّا كان يُطلَب منه.

في أوان الآلام الخلاصيّة ، عندما قال الربّ لتلاميذه «كلّكم تشكّون فيّ» (متى٢٦:٣١). عارَضَ بطرس بدافع عدم قناعته. لا هذا فقط بل رتّب نفسه فوق الآخرين قائلاً:

«وإن شكّ فيك الجميع فأنا لا أشكّ أبداً» (متى ٢٦:٣٣). يتخلّى عنه الآخرون لأنّه تعالى عليهم لكنّه تواضع بعد ذلك أكثر من الآخرين حتى يظهر في ما بعد أشدّ بهاءً لا كما فعل آدم الذي غُلِبَ من الشيطان وتراجع كليّاً. ماذا حصل إذاً مع بطرس؟

بعد سقوطه أخذ يلوم نفسه ويحزن ويتوب ويستخدم الدموع سبيلاً ودواءً للغفران «القلب النقيّ المنسحق ، الخاشع المتواضع لا يرذله اللّه» (مز ٥٠:١٢). والحزن بحسب اللّه يجلب توبة من أجل الخلاص. «والذين يزرعون بالدموع يحصدون الغفران بالسرور» (مز١٢٥:٥).

* وعد الرب لبطرس:

٦ ـ لقد داوى بطرس خطأه عن طريق التوبة والنوح ولم يكتف بذلك بل إقتلع الهوى من جذوره هذا الهوى الذي أبعده عن إخَوته.

وقد أراد الربّ أن يبيّن ذلك من أجلنا بعد قيامته ولذلك إستخدم هذه الكلمات الموّجهة لبطرس قائلاً له:«سمعان بن يونا أتحبّني أكثر من هؤلاء؟» (يو٢١:١٥). **أي أكثر من التلاميذ** ... فأجابه بطرس:

«نعم يا رب أنت تعلم أني أحبّك» ولم يضف على جوابه كلمة «**أكثر**».

٧ ـ ماذا فعل الربّ؟ بعد أن بيّن أنّ بطرس لم يزل يُحبّه دون أن يتخلّى عن تواضعه يتمّم له وعده السابق بقوله:

«إرعَ خرافي» (يوحنا ٢١:١٥).

في الواقع يُشير إلى الكنيسة جماعة المؤمنين كبناء مؤسّس على الصخرة وهي **لاهوت بطرس**. يعده بأنّه سوف يكون هذا اللاهوت أساسَ البناء.

«أنتَ بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (متى١٦ :١٨).

وعندما كان الكلام يدور حول الصيد جعله صيّاداً للناس (لوقا٥:١٠). وعندما يسمّي تلاميذه خرافاً يجعل من بطرس راعياً للخراف قائلاً له: «إرعَ خرافي».

من كل ذلك يمكننا أيّها الأخوة أن نفهم أنّ الربّ يرغب في خلاصنا كما يطلب من أحبّائه أن يُرشدنا إلى المرعى والحظيرة الخلاصيّة.

القديس غريغوريوس بالاماس

٨ ـ أتحبّني ثلاث مرّات ؟

لنفتّش نحن أيضاً عن خلاصنا ولنسمع لهما لأنهما بالقول والفعل يرشداننا إلى مناهج الخلاص . . .

يسأل الربّ ثلاث مرّات ويجيب بطرس ثلاثاً حتى يصل إلى شفاء إنكاره المثلّث.

والربّ يعيّن بطرس رأساً لخرافه ثلاث مرّات مستعرضاً هكذا أمامه مراتب المخلّصين الثلاث: العبيد ، الأجراء والبنين ، والفضائل الثلاث: البتوليّة ، الترمّل العفيف والزواج المكرّم.

ويسأل الربّ بطرس مرّة تلو المرّة إن كان يحبّه وبطرس يحزن لمثل هذه الأسئلة المتكرّرة ظاناً أنّ الربّ لم يصدّقه. كان يعرف أنّه يحبّ الربّ كما كان يعلم أنّ الربّ يعرف حال بطرس أكثر مما يعرف بطرس نفسَه ، لذلك يعترف لا بمحبّته للربّ فحسب بل وأيضاً بأنّه إله الكلّ قائلاً:

«يا ربّ أنت تعلم كلّ شيء أنت تعرف أنّي أحبّك»(يو٢١: ١٧)

لأنّ معرفة كلّ شيء هي من خصائص اللّه.

٩ ـ موت الشهادة:

والربّ ، بعد اعتراف بطرس من كلّ قلبه ، لم يكتف بشرطنته راعياً ورئيس رعاة للكنيسة كلّها بل يعده بأنّه سوف يحيطه بقدرة حتى الموت موت الصليب تؤهّله ليصبر هو الذي لم يصبر حتى على سؤال جارية. قائلاً له:

«الحقّ الحقّ أقول لك لمّا كنت شاباً (في السنّ الجسدي والروحي) كنت تمنطق نفسك (أي كنت تستخدم قدرتك الخاصّة) وتمشي حيثُ تشاء (تستخدم إرادتك الطبيعيّة). ولكن لمّا شخت (عندما تصل إلى نهاية حياتك الجسديّة والروحيّة) تمدّ يدك (يشير هنا إلى موت الشهادة على الصليب والعمل هذا يتمّ طوعاً بإرادة الرسول) وآخر يمنطقك ويحملك حيثُ لا تشاء» (أي سوف يقوّيك ويأتي إلى حيث لا تريد هارباً من الناس ما دامت الطبيعة لا تريد إنحلالها بالموت) (يوحنا ٢١:١٨).

العلاقة هنا بين طبيعتنا والحياة تدلّ على موت الشهادة الفائقة الطبيعة. هذا ما حصل مع بطرس الرسول. هكذا يقول إنّ الرسول سوف يحتمل كلّ شيء بإرادته «من أجلي ومن أجل الشهادة لي وأنا سوف أُقَوّيه على ذلك». هذا ممّا لا تريده الطبيعة الإنسانيّة كون عمل الشهادة يفوق على الطبيعة.

(إستشهد الرسولان في رومة في عهد نيرون سنة ٦٧ . بطرس صُلِبَ ورأسه إلى أسفل. وبولس قُطِعَ رأسه لأنّه كان مواطناً رومانيّاً)

* بولس الرسول:

١٠ ـ هكذا هو بطرس الرسول بقدر ما يستطيع الإنسان أن يصفه بصورة مختصرة.

أمّـا بولس فمن هو ؟ وأيّ لسان بل كيف وكم يستطيع الواحد أن يصفه ، أن يستعرض جهاده وصبره Karteria حتى الموت من أجل المسيح ؟ كان يموت كلّ يوم بل كان مائتاً بصورة دائمة لأنّه كما يقول:

«فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غلا٢:٢٠) كان يعتبر كلّ ما هو هنا نفايات محبّةً بالمسيح وكلّ ما هو آتٍ يعتبره أيضاً ثانوياً نسبة إلى المسيح.

«لأنّي متيقّن أنّه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علوّ ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة اللّه التي في المسيح يسوع ربّنا» (رو٨:٣٨).

كانت لديه غيرة للّه ، يشدّنا حماساً نحو اللّه. ولا أحد يساوي غيرته غير بطرس. أمّا تواضعه فاسمعوا ما يقوله عن نفسه:

«لأنّي أصغر الرسل أنا الذي لستُ أهلاً لأن أدعى رسولاً» (١كو١٥:٨).

* التساوي بين بطرس وبولس:

١١ ـ ماذا إذاً بعد ذلك؟ ما دام بولس يتساوى مع بطرس في **الإعتراف ، في الغيرة ، في التواضع ، في المحبّة** ، ألم يحصل على الجوائز عينها من الربّ المانح كلّ شيء بحكمة وعدل؟ لذلك يقول الربّ لبطرس من جهة:

«أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي». أمّا بالنسبة إلى بولس ماذا يقول لحنانيّا ؟:

«هذا هو إناء مختار لي لكي يحمل إسمي بين الملوك والأمم» (أعمال ٩:١٥).

أيّ إسم؟ طبعاً الإسم المعطى لنا في كنيسة المسيح التي لاهوت بطرس أساسٌ لها. أرأيتم بهاء الرسولين بطرس وبولس ومساواتهما في الكرامة وكيف يحملان كنيسة المسيح؟ لذلك ، اليوم تقدّم الكنيسة لهما كرامة واحدة ويُعَيّد للإثنين معاً.

* عمل التوبة:

أما نحن فلننظر أيضاً إلى نهاية حياتهما ولنقتَد بهما. إن لم نستطع أن نتبع فضائلهما كلّها. فلنقتَد على الأقل بالتواضع والتوبة. الفضائل الأخرى تناسب العظماء ولا يستطيع أن يتشبّه بها سوى الكبار. لكنّ عمل التوبة هو الذي يناسبنا أكثر من غَيره، لأنّنا نقترف كلّ يوم زلّات كثيرة ولا خلاص لنا إلاّ عن طريق التوبة.

١٢ ـ ينبغي لنا أن نعرف زلّاتنا من أجل التوبة. لأنّ النبيّ صاحب المزامير يقول: «إرحمني لأنّي أنا عارفٌ بإثمي» (مز٥٠:١-٢). بمعرفة الخطايا نجلب لأنفسنا الرحمة ، وبلوم النفس نستدرّ الغفران الكامل. «إنّي أعترف للربّ بذنبي. وأنت صفحتَ عن خباثة قلبي» (مز٣١:٥). لأنّ معرفة الخطايا تجرّ الحزن الذي دعاه بولس الحزن بحسب اللّه. ممّا يتبعه إنسحاق القلب والطلب الحارّ للّه من أجل الغفران بالحدّ من الشرور. هذه هي التوبة.

١٣ ـ من أجل ذلك تحرّر الملك منسّى من العقاب بسبب توبته مع أنّه كان قد إقترف جمّاً من الخطايا ولسنين طويلة. وداود أيضاً غُفِرَت خطاياه بسبب التوبة بل وأعطاه الربّ موهبة النبوّة زيادة نعمة.

هكذا فإنّ بطرس ، عن طريق التوبة ، نهض من كبوته وحصل على الغفران وأخذ على عاتقه حراسة كنيسة المسيح.

ولذلك ربح بولس مثل هذه النعمة بعد اهتدائه إلى الربّ ، وبعد الحظوة التي نالها من اللّه. لأنّ التوبة إن كانت صادقة نابعة من القلب ، تُقنع صاحبها ألاّ يعود إلى خطاياه ، ألاّ يلتصق بالفاسدين ، ألاّ ينغمس في اللّذات الضّارة ، بل أن يزدري بالحاضرات ويتكرّس للآتيات ، أن يحارب الأهواء ويقتنص الفضائل ، أن يضبط نفسه في كلّ شيء ، أن يسهر في الطلبات نحو اللّه ، أن يبتعد عن الربح الظالم، أن يكون رحوماً للخاطئين ، شفوقاً للمتوسّلين إليه ، جاهزاً لإغاثة المحتاجين بكلّ ما لديه من أقوال ، من أفعال وأموال ، أن ينحني أمام الكلّ. هكذا عن طريق الإحسان يكتسب المحبّة للبشر ومع محبّة القريب يأخذ من اللّه الرضى والرحمة الأبديّة والنعمة والبَرَكة.

١٤ ـ لنحظَ كلّـنا بهذه النعمة من ابن اللّه الوحيد الذي يليق به المجد والقدرة والكرامة والسجود مع أبيه الذي لا بدء له والروح الكليّ قدسه الصالح والمحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين. ■

إبن الغنـــي وإبن الفقير

إبن رجل غني كان جالساً عند قَبر أبيه ومعه إبن رجُل فقير ، فبينما كانا يتكلّمان قال إبن الغني مفتخراً : أنّ تابوت أبي من حجر وهو منقوش ومزيّن بأبهى وأحسَن رونق لما عليه من الرخام المرصّع بالفيروز والياقوت ، وماذا ينفع قبر أبيك المبني من الطوب والمسقوف بأقلّ من خشبتَيْن ،عليه من التراب قبضة أو قبضتيْن.

فلم يجبه إبن الفقيرويكسر كبرياءه ويحطّ افتخاره إلاّ بالجواب الآتي قائلا:

أسكت يا قليل الحيلة والتدبير فإنّه بينما يجتهد أبوك ليقوم من تحت هذه الأحجار الثقيلة التي ذكرتها ، يكون أبي قد قام وفاز بالسُكنى في أحسن موضع في الجنّة.

فخجل إبن الغنيّ وانكسر إفتخاره.

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

محطّات الرحلة (خر١٣؛ عد ٣٣) :

رعمسيس: بعد أن صدر قرار فرعون بأن يُطلق الشعب ، قام الشعب وهم يحملون الأمتعة وخبزهم غير المختمر ، وارتحلوا من رعمسيس التي كانت في أرض جاسان.

سوكوت: وهي مدينة حصينة في وادي الطميلات (تل المسخوطة) ، وسوكوت معناها مظلات حيث أن بني إسرائيل بعد إرتحالهم من رعمسيس إستراحوا في سوكوت ، وهي تبعد ١٥ ميلاً (٢٤كم) من بدء إرتحالهم ، وهناك خبزوا فطيرهم من العجين غير المختمر الذي حملوه معهم من مصر واستراحوا في مظال أقاموها بسرعة من أغصان الشجر.

إيثام: إنتقل الشعب من سوكوت إلى إيثام ، في طرف البريّة (خر١٣:٢٠) حيث رمال الصحراء الممتدّة وكان لهم عمود السحاب يرشدهم نهاراً ويظلّل عليهم وسط الصحراء (أش٣٢:٢) وعمود النار يتقدّمهم فيضيء لهم ظلمة الصحراء ليلاً.

عبور البحر الأحمر: بعد أن وصل بنو إسرائيل إلى إيثام ندم فرعون على أنّه أطلق الشعب ، فأرسَلَ خلفهم قوّة عسكريّة من ست مئة مركبة حربيّة منتخبة ، وأغلب الظنّ أنه كان اليوم الخامس لخروجهم ، فقد أمَرَ اللّه موسى أن يرجعوا وينزلوا عند (فم الحيروث) بين (مجدل) والبحر أمام (بعل صفون) ، وبعد أن صاروا عند فم الحيروث أدرك فرعون أنّهم قد وقعوا في كمين إذ صاروا محاصرين ولا مهرب. كان على الجانب عند مجدل بريّة قاحلة ، وعلى الجانب الآخر البحر الأحمر ، تواجههم من الشرق جبال (بعل صفّون) ، مما شدّد فرعون ليسعى وراءهم ، ومما يجدر بالملاحظة أنّهم لو كانوا إتّخذوا طريق الساحل حيث أمضوا خمسة أيام كانوا أصبحوا على أبواب كنعان ، والآن وقد شاهدوا جيش فرعون بعرباته وراءهم إنخلعت قلوبهم ، لكن موسى كان الرَجُل الوحيد الذي لم يهتَزّ إيمانه ولم يتزعزع وسط هذا الفزع والخوف الذي تملّك الشعب ، وصرخَ موسى إلى الربّ ، وانتقل عمود السحاب من أمام الشعب إلى ورائهم وكانت فترة الليل هادئة وعندما بدأ إستعداد الجيش في الهجوم؛ مدَّ موسى يده وهو يرفع عصاه على البحر، فانشقَّ بريح شرقيّة شديدة وسار بنو إسرائيل على اليابسة ، وصار الماء لهم سوراً على الجانبين ، وفي هزيع الصبح وقد تبع المصريون الشعب وكان موسى القائد البطل يتقدّم العبور ، أن أزعج الربّ جيش فرعون في عمود النّار والسحاب ، فتملّكهم الهلع ، وخلع الربّ بكر عجلاتهم فساقوها بثقل ، وهم يجذبونها في طين قاع البحر ، وأحسّوا أنّ الربّ هو الذي يقاتل عن الشعب ، وغرقت مركبات فرعون في قاع البحر ، أما بنو إسرائيل فقد عبروا البحر وخرجوا يرنّمون تسبحة النصرة (خر١٥) .

الخط الأحمر: عبور الشعب الإسرائيلي تحت قيادة النبيّ موسى العظيم

أمينوفيس الثاني في مركبته الحربيّة

ويرى الدارسون أنّه من الصعوبة التأكّد بدقّة مكان نقطة العبور إذ أنّ جغرافيةالموقع تغيّرت عمّا كانت عليه ، ولكن يُرَجّح أن مكان العبور كان في المنطقة بين السويس والإسماعيليّة ناحية القنيطرة عند بحر القصب ، حيث أن إسم البحر الأحمر تعني بحر سوف .

تسبحة موسى النبيّ بعد إنتصاره على قوة فرعون

من تسبحة موسى النبيّ : لنسبّح الربّ فإنّه بالمجد قد تمجّد. الخيل والركّاب طرح في البحر. المعين والساتر صار لي للخلاص هذا هو إلهي فامجّده إله أبي فارفعه، الربّ الذي يسحق الحروب الرب اسمهُ. مركبات فرعون وقوّته طرح في البحر ... لأنّه أدخل خيل فرعون مع المركبات والركّاب في البحر وأعطف الربّ عليهم ماء البحر ، أمّا بنو إسرائيل فسلكوا على اليبس في وسط البحر.

يتبع

ميمر ميلاد السابق القديس يوحنا المعمدان

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

لتفرح السماوات والأرض معاً ، ولتقطر الجبال (خيراً) والسحُب فلتسبّح عدلاً ، ولترتكض الآلام سروراً ، ولتبتهج البرايا كلّها معاً ، فإن اللّه تعالى قد رحم شعبه ، وأنجز موعده ، وأعلن إمارات وروده ، وأعلَمَ الناس بدنوّه بتبشيره بمولد السابق أمامه ، وإرسال الملاك الموسوم لرسائله ، لقوم قد حاصرهم أعداؤهم وتلهّفوا شوقاً إلى مُحْيٍ يُنقذهم ، ليفرحوا إذ أقبل وفد ملكهم بدنوّ تخليصهم واقتراب تحريرهم. هكذا ينبغي لنا أن نفرح اليوم ، يا أحبائي ، بمولد يوحنا العظيم ، نذيرنا السابق بالبشارة عن ورود المسيح إلهنا ، الذي تاقت إليه عقول الأنبياء ، وتمثّل معاينته الأبرار الأصفياء. فليتشارك اليوم في السرور سائر المؤمنين ، وليفرحوا بظهور مقدّمة مخلّصهم من **وَزْر الخطيئة**. الشيوخ فليفرحوا ، فإن الشيخ زكريا قد وُلدَ له اليوم ، الشريف في الأنبياء ؛ **والعواقر** فليرتكضن ، فإنّ العاقر قد ولدت الإبن الأعظم من جميع مواليد النساء.

اليوم ظهرت مبادىء خلاصنا وأشرقَت أضواء تحرّرنا.

اليوم وُلدَ المصباح الذي سبقَ ظهورَ النور الأعظم المنير كل إنسان آت إلى العالم . المولود الملائكي المُرسَل أمام وجه ملك الملائكة.

اليوم ظهر النبيّ الهاتف إلى الناس أن يعدّوا طريقَ الإيمان للكلمة الخالق ، وأن يجعلوا قلوبهم مستوية لقبوله.

اليوم وُلدَ الصدّيق المسرور به لصوت الختن.

اليوم أقبل (الكارز) بالتوبة لغفران الخطايا والمبشّر بمجيء الملك البارىء البرايا. اليوم برز الصوت الصارخ في قفر نفوس الناس المقفرة من الأعمال الصالحة ، المعشّبة بعشب آلام الخطيئة ، المحرّجة بشوك الرذائل (قائلاً): «توبوا فقد دنا مُلك السماوات ، الموجب لمن يؤمن بالمسيح الملك السماوي ، الآتي بعدي والذي لم يزل قبلي». وإذ كان اليوم عيد مولِد هذا الكوكب المُنير ، مقدّمة شمس العدل اللاّمعة.

فلنذكر الألفاظ الإنجيليّة التي عرفت بالتبشير به وبولادته. قال البشير في الإنجيل المقدّس: «إنّه كان في أيام هيرودس ملك أرض يهوذا كاهن اسمه زكريا وإمرأته من بنات هارون إسمها أليصابات. وكانا صدّيقين أمام اللّه سالكين في جميع وصايا الربّ وطرقه بغير علّة ، وابنٌ لم يكن لهما لأنّ أليصابات كانت عاقراً وكلاهما كانا قد طعنا في السنّ. وفيما كان زكريا يخدم في نوبة خدمته قدّام الإله كعادة الكهنوت دخل هيكل اللّه ليبخّر ، وكلّ جماعة الشعب كانوا يصلّون خارجاً في ساعة التبخير ، فتراءى له ملاك الربّ قائماً عند مذبح البخور ، فارتاعَ زكريا حين نظره ووقعت عليه مخافة. فقال له الملاك: «لا تخف يا زكريّا لأنّ تضرّعك قد سُمع وإمرأتك أليصابات تلد إبناً وتدعوا إسمه يوحنا وسيكون لك فرحاً وسروراً ، وكثيرون يفرحون بولادته ويكون عظيماً قدّام الربّ. وخمراً ومُسكراً لا يشرب ، ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن أمّه.وكثيرون من بني إسرائيل يُرَدّوا إلى الربّ إلههم ، وهو يسبق فيأتي قدّامه بروح وقوّة إيليا. ويردّ قلوب الأبناء إلى الآباء. وأولئك الذين لا ينقادون إلى (حكمة) الصدّيقين ، ليهيّء للربّ شعباً مستعداً ومهذّباً». فقال زكريا للملاك: «كيف يكون هذا وأنا شيخ وإمرأتي عجوز طاعنة في أيّامها». أجاب الملاك فقال: «أنا جبرائيل الواقف قدّام اللّه وأُرسلت لكي أقول لك وأُبشّرك بهذا ، والآن فإنّك تكون صامتاً ولا تقدر أن تنطق حتى اليوم الذي يكون (فيه) هذا، من أجل أنّك لم تصدّق كلامي الذي سيتمّ في وقته».

وكان الشعب ينتظرون زكريّا وعجبوا من إحتباسه في الهيكل، فجعل يشير إليهم ومكث لا يتكلّم. فكان لما تمّم خدمتَه (أن) انطلق إلى بيته. ومن بعد تلك الأيّام حبلت أليصابات إمرأته وكتمت نفسها خمسة أشهر قائلة: «إنّ الربّ صنع إليّ هذا في الأيّام التي نظر (فيها) أن يرفع عنّي عاري من الناس». فمن ذا يستطيع أن يُمدح من جبرائيل رئيس الملائكة المبشّر بالحبل به ؟ ومن يقدر أن يُنقص (من شأن) مَن مُسحَ نبيّاً وهو في حشا أمّه؟ هذا الذي نطق بلسَان والدته وسجد مرتكضاً للإله الآخذ بتجسده في أحشاء البتول مريم الطاهرة نفساً وجسماً ، لما دخلت منزل زكريا لمصافحة أليصابات نسيبتها. فحين سمعت أليصابات سلام مريم إرتكضَ الصبيّ في بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عال وقالت: «مباركة أنت في النساء ومبارك هو ثمرة بطنك. ومنْ أينَ كان لي هذا أن تأتيَ أمّ ربّي إليّ، لأنّه حين وقع صوت سلامك في أذنيّ ارتكض الجنين بفرح في بطني ، فطوبى لتلك التي آمنت أنه يكون تمام للذي كُلّمَت به من قبَل الرب» فتنبأ لها الطفل بالبشارة الإلهيّة التي لم يسمعها (أحدَ) غيرها.

هذه أولى نبوءات المقدّس بالروح القدس في أحشاء أمّه. وهذه (هي) الأمور المجيدة في التبشير به والحبل العجيب الذي حلّ عقر الوالدة والأرتكاض والتنبؤ بلسانها.

وأمّا العجائب الباهرة في مولده ، فإنّه في اليوم الثامن لمولده أطلق إعتقال لسان أبيه حيث كتب مجيباً: «إسمه يوحنا». يا للعجب الذي أذهل مَن شاهده وأبهت الذين سمعوه. وتنبّأ أبوه بالنعمة الحالّة عليه قائلاً: «مبارك الربّ إله إسرائيل الذي إفتقد شعبه وصنع خلاصاً لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود عبده ، كالذي تكلّمت عليه أفواه أنبيائه المقدّسين من الأبد ليخلّصنا من أعدائنا ومن يد جميع مبغضينا وصَنَع الرحمة مع آبائنا وتذكّر ميثاقه القدّوس ، القَسَم الذي أقسَمه لإبراهيم أبينا ، ليعطينا بغير خوف أن نخلص من أيدي أعدائنا ، لنعبده بالبرّ والعدل تجاهه جميع أيّام حياتنا. وأنت أيّها الصبيّ نبيّ العليّ تدعى ، لأنّك تتقدّم أمام وجه الربّ لتعدّ سبله ، لتعطي علمَ الخلاص لشعبه بمغفرة الخطايا ، (بأحشاء رحمة إلهنا) الذي إطّلع علينا مُشرقاً من العلوّ ، ليضيء لأولئك الذين في الظلمة وظلال الموت جلوساً ، ليُقَوّم أرجلنا في طريق السّلم».

فإذا أمور مولده هكذا مسطّرة في الإنجيل ، وقد بشّر بها رئيس الملائكة وحقّقتها الآيات الباهرة التي جلالتها كافية أن تلبسه حلل المجد وتطوّقه بقلادة الفخر ، فكيف وقد تضاعف عليها مديح الإله وسيّد الملائكة وكلّ البرايا إيّاه وتفضيله على الأنبياء ، بما أنّه شاهَد الإله الذي تنبأ عليه أولئك. لأنّ أولئك قالوا : «سيجيء إلهنا ويظهر جهاراً». وأمّا هذا ففاق عليهم بقوله للشعب الإسرائيلي: «ها هوذا حمل اللّه الذي يرفع خطايا العالم».

هذا المثلث الغبطة المتوّج بالنبوّة والكهنوت والشهادة. فهو خاتم الأنبياء وأفضلهم لإشارته إلى الإله المتنبىء عليه من الأنبياء كلّهم ، وأجلّ الكهنة وأكرمهم بما أنّه ترك يده على هامة الربّ بارئهم كلّهم والمأنس لخلاصهم. وهو رئيس الشهداء وأشجعهم مجاهرة بالعدل ، فإنّه لم يمل مع روح تملّق الملوك وضرواتهم.

فلمن نمدح إذاً ، للنبيّ أم للكاهن أم للشهيد أم للزاهد في الأمور العالميّة ، الفاتح للناس سيرته الشريفة طريقةً للزهد النافع. لأنّه سَبَقَ فأعدّ بسيرته المجيدة الطريق إلى السيرة التي كفّر بها الإله الذي أنقذ من البلى حياتنا وأنهضنا من صرعتنا. هذا هو الصوت السابق للكلمة الخالق، الهاتف: «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات أعدّوا طريق الربّ ، أي أعدّوا قلوبكم للإيمان به ، إقتلعوا كلّ الشرور التي تمنع دخول الربّ إلى قلوبكم. «قوّموا مناهجه»، أي صفّوا حواسكم الظاهرة والباطنة ، وطهّروها ليسكن فيكم. «فليمتلىء كل واد» ، أي كلّ موضع في أنفسكم قد حفرته الرذيلة ، فليُملأ بالفضيلة. «وكلّ جبل وتلّ فليوضع» ، أي كلّ تشامخ وتكبّر فليُهدَم بالإتضاع. «ولتصر السُبل الوعرة مستقيمة والجبال طرقاً ممهدّة»، أي الشيَم القاسية والعوائد الرديئة فلتُقَوَّم بمخافة اللّه **وبذكر الموت**. فسيعاين كل ذي جسم خلاص الإله إذا إستنار هكذا.

فلنُعَيّد يا أحبائي تعييداً روحانيّاً لا جسدانيّاً تابعين سيرة هذا القديس المجيد، زاهدين في جميع المنظورات الوقتيّة ، هاجرين القنية الشاغلة عن السعي في السبل السماويّة ، محبّين الصمت ، عائشين بالعدل ، ممتنعين عن الألوان والأغذية المشعلة أتون الجسد ، مكتفين بما يحفظ القوّة الطبيعيّة ؛ حتى إذا شاهد هذا القدّيس قبولنا تعليمه وعشقنا سيرته وإيثارنا نسكه وإكرامنا أعياده ، هكذا بالتشبّه بجمَال تصرّفه في العالم ، قابلنا على ذلك بالتوسّل عنّا إلى اللّه الآب ـ القابل شفاعته ، المعلّي منزلته ، الذي أكرمه بعجائب مولده وبالوحي إليه وبمعاينة الروح القدس النازل على ابنه الحبيب ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح وقت التعميد المجيد وسماعه صوت الشاهد لإبنه الحبيب الذي هو متأنّس لخلاصنا ، بأزليّته (ومساواته له) في جوهره الفائق الأزمان والدهور ـ أن يخوّلنا العطايا السماويّة ويرزقنا النعم الدهريّة ويمنحنا نشاطاً وحرصاً في أعمال التوبة لكيلا نُقطَع كغير مثمرين ، بل يعيننا على اقتبال وصاياه إلى آخر نسمة بعقلنا وحسّنا ، ولنهتف إليه قائلين: «يا أفضل الأنبياء وأكرم الكهنة والشهداء ، كما حللت بحضورك عقريّة والدتك تشفّع لنفوسنا العواقر أن تلد الأفكار الصالحة والنتائج الحسنة. وكما أطلقت لسان والدك ، كذلك إبتهل لعقولنا الخرس أن تنطق دائماً بتسبيح اللّه (ورحمته) السابقة ، وأعن دائماً بوسائلك المقبولة ، الذين قد آثروا أن يتشبّهوا دائماً بمثالَ سيرتك الملائكيّة ، واحرس عقولنا من الخدائع الشيطانيّة وأيقظ نفوسنا يا كاروز التوبة إلى التوبة عن خطايانا ، يا من لا تُرَدّ طلبته ولا يُمنَع سؤاله ، لقربك من اللاهوت الأزليّ ومثولك كالثالوث العنصري في الغبطة الدائمة ، وأعنّا على كل عمل صالح يرضي إلهنا بوسائلك إلى اللّه تعالى الذي ينبغي له المجَد والعزّة والإكرام من سائر البرايا المنظورة وغير المنظورة الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور آمين . آمين. آمين.

حرف الملوك

يظنّ فريق من الناس أن الحرَف إنّما هي لصغار الناس ، وهذا ظنٌ باطل ووهمٌ فاسد ، وكأنّ بملوك البلاد المتمدّنة شعروا بهذا الظنّ من الناس فتعلّموا الحرَف حتى يعطوا للشعب مثالاً حسناً.

فملك أنجلترا تعلّم صناعة عمل الجورابات وابنه وليّ العهد صناعة عمل الحبال ، والملك أوسكار صاحب عرش السويد الفلاحة والحطابة ، وملكة النرويج تجليد الكُتب وصناعة الخراطة فضلاً عن عدّة صنائع أخرى وقيصر روسيا الثاني نيقولا كان يعرف الحرث والزرع والحصاد كأحسن فلاّح ، والإمبراطور وليم صفّ (تنضيد) الحروف في المطبعة ، والملك همبرت والد ملك إيطاليا كان جزمجيّاً بل إسكافيّاً ماهراً ، والملكة ڤكتوريا كانت مشهورة بحبّها وتفوّقها في صناعة الحبك والتطريز.

(السل رقم ٢) أو (داء الحسد)

« الحسد شهوة مشوّشة لا تحتمل نعمة ولا فضيلة في النفوس . تلك الشهوة الرديئة ما وجدت شيئاً من السمعة أو السعادة عند أحد إلا وأجهزت عليه إجهازاً وخنقته وقت ولادته » (فلشيير)

هم يحسدوني على الموت فوا أسفا حتى على الموت لا أخلو من الحسد

السلّ رقم ١ أو السلّ الرئوي هو ذلك الدّاء الخبيث الذي أعيا نطس الأطباء وأساطين الطبّ المتقدّمين والمتأخّرين.

كذلك السل رقم ٢ قد أعيا نطس الأجتماعيين في تطبيبه؛ داءٌ ما أصاب أحداً إلاّ انحلّ منه الجسم وأسقم النفس ، وألبَسَهُ الشقاء ثوب العذاب الأليم من قمّة رأسه إلى أخمص قدميه.

إذا نام صاحب ذلك السلّ كان نومه مزعجاً، وإذا أكل كان الطعام في فمه مرّاً وعلقماً ، وإذا سارَ في الطريق تمنّى لو أنّ يكون الهواء في قبضته فيمنعه عن النّاس ليتمتّع به وحده ، وبالجملة فعيشه مرّ وحياته مجموع عذاب وشقاء.

إنّ المُصاب بالسّل رقم ١ قد لا يتألّم ولا يتوجّع إلاّ في جسمه ، وقد يكون هادىء النفس ، ساكن الفكر ، مرتاح الضمير. أمّا المُصاب بالسلّ رقم ٢ فسلّه يُبري جسده ، ويهشّم عظمه ، ويعذّب نفسه ، ويزعج ضميره ، ويشوّش راحته الفكريّة ولا يجعله يهدأ برهة من الزمان.

السلّ رقم ٢ ناراً آكلة تحرق الأحشاء ، وتكوي الأكباد ، وتذيب الفؤاد حتى تجعله هباءً منثوراً ؛ فضلاً عن كونه يجعل صاحبه شرساً مفترساً أقرب إلى الحيوانيّة منه إلى الإنسانيّة.

ذلك الداء الخبيث هو داء الحسد.

النّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، أمّا الحَسَد فيأكل صاحبه وَجَدَ ما يأكله أو لم يَجِد . ولذلك قيل: «**الحَسَدَة مناشير أنفسهم**».

كلّ ذلك الشرّ ، وكلّ ذلك العذاب والتعاسة والبلاء الكبير متولّد من الحسَد الذي هو الشهوة أو الخلّة النفسيّة التي لا تحتمل أن ترى نعمة أو خيراً عند أحد غريباً كان أو قريباً.

ليت شرّ الحسَد لا يتجاوز حدّ الحَسود ، فلو كان كذلك لكان شرّاً واحداً بل هو يتعداه إلى نفوس عديدة تضمّها عائلات كثيرة ، وربما خَلَقَ بلاداً برمّتها فخرّبها ونَعَقَ عليها غراب البين.

كثيراً ما شاهد الإنسان أنّ الحَسَد طالما كان سبباً لنفرة صديق من صديقه ، وطالما كان سبباً للنزاع والشقاق بين بلدة وأخرى ، بل بين عائلتين مرتبطتين إرتباطاً عائلياً متيناً ، فشطَرهما الحَسَد وجعلهما تتحاربان وتقتتلان.

ليس ذلك فقط.

بل مما يحزن القلوب أن الحَسد طالما كان سبب قيام عائلة واحدة على بعضها ، وقيام أفرادها بعضهم على بعض.

من البلوى أنّه حتى إلى هنا لا يقف حدّ الحَسَد.

قَلِّب سجلّ الأمم يوماً بعد يوم تجد مكتوباً في كل صفحة من صفحاته بحروف من دم هذه العبارة: «**قتل اليوم زيدٌ أخاه عمرواً حسداً**». كل ذلك تؤيّده الحوادث اليوميّة.

أوّل نقطة دم بشريّة سقطت على الأرض ولوّثت أديمها ممن ولمَ ؟؟. لم تقع تلك النقطة من حرب بين بلدين أو قبيلتين. ولا من غدارة قاطع طريق. ولا من جارحة إنسان طعنها في صدر مَن سلَبَ شرفه وهتَك عِرضه. ولا ولا ممّا شابه ذلك.

ممن إذن ؟

من جسم إنسان قتله أخوه ؟

لمَ ؟

حَسَداً !

ذلك حينما قتل قايين أخاه هابيل.

هنا يتمثّل لكَ شرّ الحسد وسفالة الحسود. هنا تَعرف أن الحَسَد داءٌ خبيث ، وأنّه **رمز النفس الساقطة الوضيعة**.

للحسود جارحتان. جارحة فولاذيّة قاطعة للمادة وهي التي مزّق بها قايين جسم أخيه هابيل. والثانية جارحة لحميّة قاطعة للنفس والشرف وهي **اللسان**.

هنا يقول **فلشيير**: « بما أنّه ليس للحَسَد قوّة في يده ، فدائماً يستعمل كل خداع اللسان ، والواسطة الوحيدة عنده هي الغيبة والنميمة والسعاية. هذه هي الشِّراك التي ينصبها ، والضربات التي يصوّبها إلى شرف وراحة أعدائه». ولا غرابة إذا قلنا أنّه ليس للحسود صديق.

هذا السلاح هو بعينه الذي يستعمله البعض ضد البعض في كل حين سبيلاً للإيقاع والسقوط. وكما أن هذه هي أسلحة الحَسود ، هي أيضاً رموز وعلامات نفسه الساقطة.

للحسود في حياته يوم أو بضعة أيّام يعتبرها أيام أعياد وأفراح وسعادة ، ذلك اليوم أو عيد الحسود هو اليوم الذي يرى أو يسمع فيه بهبوط وسقوط زميل له أو أحد الناس عامة. **لَلا قبَّحَ** اللّه ذلك اليوم **وقبَّح وجّه الحسود**.

للحسود نغمات مخصوصة يلتذ منها وينشرح لها صدره ويرقص لها قلبه كما يرقص قلب الرقيق الشعور الطيب الإحساس من سماع نغمات الموسيقى ورؤية مشاهد الجمال الصحيح والمناظر البديعة ويلذ له أكثر أن يرى الجميع يُضرَبون على وتر تلك النغمات التي تلذّه.

تلك النغمات التي تتضاعف لها دقّات قلب الحسود فرحاً وسروراً ويرقص لها فؤاده طرباً هي **نغمات الوشاية والسعاية**. هي سماع المحاضرات والخطابات التي تلقَى **طعناً وقدحاً وذمّاً وهجواً** في شخصٍ ذي نعمة.

* المحبّة لا تحسد (١ كو ١٣:٤)

المحبة هي إنكار للنفس أو إماتة للذّات ليتربّع اللّه مكانها كما على عرشه. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، بل ما هو للآخرين. فمن يحب يفرح ويُسَر لنمو الآخرين روحيّاً وجسدياً ، ويشتاق لو أُعطيَ له أن يتخلّى عن كل ما اكتسبه من بركات أرضيّة وسمائيّة لأجل إخوته. وإذ تحب الأم أولادها تشعر أن نجاحهم وحصولهم على شهادات دراسيّة هو نجاح لها شخصياً.

* لماذا دخل الحسد العالم ؟

كثيرون ، بل ربما الجميع ، يشعرون أحياناً بثقل أفكار الحسَد في داخلهم بالرغم من تأكّدهم تماماً من الشرور التي يجلبها الحاسد على نفسه ، وعجزه عن إضرار المحسود. ولعلّ سرّ العجز في التخلّص منه هو عدم معرفة أسباب دخوله فينا.

لمّا سَقَطَ الشيطان شعَرَ بالفراغ يملأ قلبه ، وإذ لم يستطع إشباعه من اللّه بدأ يحسد الإنسان الأول الذي يعيش في تناغم وإتحاد مع اللّه، وإذ أَسْقَطَ آدم وذريّته صارت القلوب فارغة تريد أن تشبع وتمتلىء ! فإن لجأت النفس إلى ربّنا يسوع المسيح مصدر البركات والنِّعَم ، إمتلأت من خير ، وأحبّت الكلّ ، واشتاقت لو أخذت آخر صفوف البشر في هذا العالم والعالم الآتي.

في هذا العالم ، مهما اشتاقت أن تتراجع إلى خَلف البشريّة ، تجد ربّنا يسوع المسيح محتلاً آخر الصفوف، ليس له أين يسند رأسه ، مبصوقاً على وجهه ، مطروداً ، مُجَدَّفاً عليه ، مصلوباً كأحقر لصٍّ.

وإن أرادت أن تتراجع إلى الوراء طالبة خلاص إخوتها أوّلاً ، تجد موسى يسبقها قائلاً: «والآن إن غفرت خطيّتهم وإلاّ فامحني من كتابك» (خر٣٢:٣٢) ، وهكذا بولس الرسول يقول: «فإنّي كنتُ أودّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي» (رو٩:٣).

أمّا إن بَحَثْتَ عن ينبوع آخر من ينابيع العالم إزداد ظمأها أكثر فإن طَلَبْتَ أمجاد العالم وممتلكاته تَحسد كلّ من يملك أو ينال أكثر منها ، بل وتحسد مَن هُم أقل منها ، لأنّ **النفس العطشى** تطلب كلّ العالم لعلّه يُشبعَها.

* لماذا الحسد داخل الكنيسة ؟

ولا تقف خطورة الحسد عند هذا الحدّ ، بل يتغلغل أكثر بين المؤمنين **وأكثر جداً بين الرعاة**. والسبب في ذلك أن المؤمن **يخطىء** فهم المسيحيّة ، فيظن أنّ الصوم في ذاته أو مجرّد الصلاة في ذاتها أو تنفيذ الطقس حرفياً يستطيع في ذاته أن يُشبع نفسه. **فيقف في سباق مع الآخرين ، لا ليشْبَع من ربّنا يسوع ، بل من حرفيّة وسائط النعمة في ذاتها** ، أو حتى في الفضائل في ذاتها. فليس في حياة المؤمن الحقيقي هدف آخر غير لقائه هو وإخوته مع ربّنا يسوع.

قد يرغب الإنسان في إشباع نفسه لا من ربنا يسوع ولا من الفضيلة، بل من مديح النّاس ، **فيصوم ويصلّي ويدرس ويتأمّل ويَعظ ويخدم** ... لأجل الناس ! فأمثال هؤلاء يدخل الحسد إلى قلوبهم.

نوجز القول: بأن الحسَد يدخل قلب إنسان لم يَذُق حقيقة الخلاص ، ولا تأمّل في السمائيّات ، ولا ارتفع عن تفاهات الأرضيّات. لهذا **إبحَث عن خلاص نفسك مع إخوتك** فيهرب منك حبّ العالم ويتبدّد قدّامك المجد الباطل ، فلا يكون للحسد فيك مكان.

* القديس يوحنا الذهبيّ الفم يقول:

لماذا تحسد؟ أخبرني! لأنّ قد مَدحَه آخرون. لكن كان يجب عليك أن تفرح. ومع هذا مَن أعلَمَك أن مدحهم حقيقيّ؟ فهل تحزن لئلا يكون قد مُدِح رغم كونه غير مستحق للإعجاب؟! فلتشفق عليه.

فإن كان هذا الشخص صالحاً ، ليس من حقّك أن تحسده إن مُدِح ، بل تنضمّ إلى صفوف المادحين. وإن لم يكن الأمر كذلك فلماذا تتمرّمر؟ لماذا تبرز سيفك على نفسك؟ هل لأنّك تطلب إعجاب الناس بك؟ ولكن الذين يعيشون اليوم لا يُوجدون غداً. هل لأنّك تُسَرّ بالمجد ؟! أخبرني أي مجد تريد؟ ذلك المجد الذي يقول عنه النبيّ «زهر العشب» (إش٤٠:٦). هل تحسد الآخرين لأنّك لا تحمل أي ثقل أو حمل من العشب؟ بدا لك أنّك مستعد أن تحسدهم لأجل هذا. فلماذا لا تحسد الحطّاب الذي يحمل الحطب كلّ يوم إلى المدينة؟ فإن ذلك الحمل (**المجد**) ليس أفضل من هذا الحمل (الحطب)، بل بالحريّ أردأ منه. فحمل الحطب في الحقيقة مؤلم بالنسبة للجسد ، أما حمل المجد فغالباً ما يضرّ النفس ويسبّب إنزعاجاً أكثر من السرور ...

«إنّه في ودّ مع السلاطين (العظماء)». ولكن هذا الأمر فيه خطر وحسد ... لأنّ ما تشعر أنت به من نحوه يشعر به الآخرون أيضاً.

«لكنّه دائماً ممدوح» هذا يسبب له مرارة ، لأنّه لا يتجاسر أن يصنع شيئاً مما ينبغي عليه أن يفعله لصالحه لئلا يتعارض مع من يمجّدونه ، فإن هذا الإمتياز هو عبوديّة قاسية له ، فبقدر ما يعرفه الكثيرون يصير له سادة كثيرون ... فقد تطغي بعض الإعتراضات الضروريّة حتى لا يجعله يتجاسر بالوقوف في الميدان ما لم يحيط به خَدمه ويكون مع فرَسه ويصطفّ بقية أتباعه ، كل هذا لئلا يزدري به سادته. وإن رأى بعض أصدقائه الحقيقيين. لا يتجاسر على مخاطبتهم على قَدم المساواة، لأنّه يخشى من سادته لئلا يقلّلوا من تمجيده. **فبقدر ما يزداد تمجيده يزداد إستعباده.** ■

أعضاء المسيح

للقديس نيقولا كاباسيلاس

لنفكّر أنّنا أعضاءُ المسيح. أهناك ما هو أسمى وأجدَى من هذا التفكير ؟ عندما تسود هذه الأفكار المبهجة على نفوسنا يزداد الشوق الأزليّ فينا ، ولن تَجد الأفكار الشريرة سبيلاً إلى نفوسنا. عندماَ نفكّر بإحسان المخلّص العظيم يزداد شوقنا نحو المُحسن الأزليّ ويُصبح كثير الوهج ، وبهذه المحبّة للرَبّ نُصبح بسهولة فَعَلة لوصاياه. «مَن أحبّني حَفِظَ وصيّتي» (يوحنا ١٤:١٥).

عندما نفكّر بأنّنا أعضاء للمسيح يستولي علينا الشعور المدرك الكامل بالمنزلة الكبرى التي سَمَوْنا إليها ، وهكذا لَـن نُسلِّم نفوسنا إلى الخطيئة ، **ولَـن نقبل أن نخدم العاصي والعبد الضّـار ، الشرّير** ، ولـن نفتح فمنا عندما نفكّـر بأنّنـا مدعوون إلى الملكوت السماوي كأعضاء للمسيح ، ولـن نترك لساننا يرشق الكلمات الشرّيرة. أيمكننا أن نجعل فمنـا آلـة للخطيئة إذا فكّـرنا أنّ المخلّص قد صَبـغَ لساننا بلون الأرجوان بمناولتنا لدمه الكريم المقدّس ؟ أنُجيز لأعيننا وهي التي رأت جسد ودم المخلّص أن تجـول في الأماكن المسبّبة الخطيئة ؟ إذا حافظنا على تفكيرنا حيّـاً بـأنّنا أعضاء مكرّمة للمسيح **تحوي كقارورة دم السيّد** أو بالأحرى كلّ السيّد فلن نحرّك أرجلنا ولن نمد أيدينا إلى ما يسبب الخطيئة.

إنّنـا أعضاء للمسيح والمسيح في داخلنا. ليست الوحدة التي لنا مع ثيابنا وجلدنا وعظامنا كالوحدة التي لنا مع المسيح ، مع رأسنا الروحي

تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم (متى ١١:٢٨)

ونحنُ أعضاؤه. يستطيع المرءُ أن يجرّدنا من ثيابنا قسراً عنّـا. يمكنه أن يجرّدنا من أجسادنا ، أمّـا عن المسيح فلا إذا لم نُرِد نحنُ. لا يستطيع ذلك لا الإنسان ولا شيطان.

«أيقنت أنّه لا موت ولا حياة ، لا رؤساء ولا قوّات ،لا حاضر ولا مستقبل ،ولا علوّ ولا عمق ،لا خليقة أخرى تستطيع أن تفصلنا عن محبّة المسيح يسوع» (رومية ٨:٣٨-٣٩).

إنّ الشهداء هم البرهان. لقد إنتزَعَ الشيطان بيد الجلاّدين أحشاءهم وسلَخَ جلدهم وفصّل أعضاء أجسادهم وسَحَقَ عظامهم ، لكنّه لم يتمكّن أن يُبعدهم بكل ما لديه من أحابيـل عن المسيح. كان عمله مشجعاً لهم في إيمانهم ، وجـاءَ بنتيجة معكوسة فالتصقوا به إلتصاقاً أوثَق ، ومَكَّـنَ وحدتهم به وجعلها وحدة مستمّرة إلى الأبد.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة الأحتفال بعيد الرسل الأطهار

«لقد طفتم الخليقة كلَّها يا تلاميذ المخلّص. فأحرقتم بتعاليمكم ضلالة الأوثان كمادَّة قابلة الإحتراق. واصطدتم الأمم من عمق الجهل والغباوة. وهديتموهم إلى معرفة اللّه فخلَّصتموهم .» (الذكصا بعد الإينوس).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيّها الزوّار الحسني العبادة

إنّ دخول كلمة اللّه داخل حيّز تاريخ البشريّة يتمحور حول شخص الروح القدس (روح اللّه)، كما أكّده الربّ يسوع في حديثه الخلاصي مع المرأة السامريّة إذ قال: « ...حين الساجدون الحقيقيّون يسجدون للآب بالروح والحقّ ... اللّه روحٌ ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤:٢٣-٢٤). هذا الروح الذي سَبَقَ وأنار بطريقة ظليّة مكنونات عديدة ومختلفة أنار من ناحية ثانية الرسُل الأطهار عند إستعلانه لهم جوهرياً يوم العنصرة ؛ وتتميماً لوعد المسيح الصادق للتلاميذ ، قبل صعوده إلى السماء: « وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهم أن لا يَبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا "موعد الآب الذي سمعتموهُ منّي ... وأما أنتم فستُعَمَّدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير " » (أعمال١:٤-٥).

إنّ إختيار الأنبياء من ناحية ، وكذلك إختيار الرُسل من ناحية أخرى ، وإسناد المهمات التبشيريّة لهم ، يخضع لمخطّط التدبير الإلهيّ، لتغيير وإعادة الناس والبشر المخلوقين بصورة اللّه الآب من الظلمة إلى النّور.

فشهادة بولس الرسول الشخصيّة ، الذي كان مدعوّاً إلى الوظيفة الرسوليّة من قبَل يسوع المسيح تؤكّد حقيقة هذا الإختيار: « ولكن قُم وَقِفْ على رجلَيْكَ ، لأنّي لهذا ظهرتُ لك ، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيتَ ، وبما سأُظهر لك به ، مُنقذاً إيّاكَ من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلُكَ إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سَلطان الشيطان إلى اللّه.» (أعمال٢٦:١٦-١٧).

الأنبياء ، والرسل الأطهار هم النُخبة الذين تم إنتقائهم، بإلهام الروح القدس : الأنبياء هم النخبة من شعب اللّه المختار ، والرسل هم النخبة الفريدة من شعب اللّه المختار ومن الأمم.

الرُّسل الذين سُلِّموا الروح المعزّي ، أي روح الحق جوهرياً ، روحَ المسيح الذي هو كمال الناموس والأنبياء ، فالمسيح

كلمة اللّه قد أتمَّ التدبير الأبويّ أي تدبير اللّه الآب.

التدبير الأبويّ الإلهيّ : أُعطيَ بدءاً إلى مجموعة الأنبياء التي كانت مرهونةً تحت وكالة، أما بالنسبة إلى الرسل فإنّه قد أُعطيَ لهم شخصيّاً ، الذين كونهم معروفين ، أصبحوا الوارثين الحقيقيين والقانونيين لإنجاز مخطّط التدبير الخلاصي بالمسيح يسوع.

هكذا تنضح الحقيقة من خلال الوراثة الجديدة بالمسيح يسوع، فقد تمّ العبور من كنيسة الناموس إلى كنيسة المعزّي ، كنيسة الروح القدس ، التي تحقّقت بكمالها ، يوم العنصرة في إجتماع الرُسُل الأطهار في علية أورشليم .

الوظيفة النبويّة والرسوليّة التي تظهر جليّة بصدق رسالتها وأصالة الموحي بها داخل طيّات الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد ؛ تُرشدنا بكل دقّة **على زور وظيفة الأنبياء المزيّفين ، والرُسُل المزيّفين** ، كما يذكر الإنجيليّ متى البشير: «ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلّون كثيرين» (متى ٢٤:١١). ويقول القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «لأنّ مثل هؤلاء هُم رُسل كذبة ، فَعَلَة ماكرون ، مغيّرون شكلهم إلى شبه رُسُل المسيح» (٢كو١١:١٣).

أنّ يسوع المسيح كلمة اللّه المتجسّد والمتأنّس ، مصدر كلّ رتبة نبويّة ، رسوليّة وكهنوتيّة ، كما يقول الإنجيليّ لوقا: « ... يسوع الناصريّ ، الذي كان إنساناً نبياً مُقتدراً في الفعل والقول أمام اللّه وجميع الشعب» (لو١٩٢٤)،وحسبما يقول الحكيم بولس لأنّه هو «الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب١:٢) ، وأيضاً : «لاحظوا رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ٣:١) ، وأيضاً «مدعوّاً من اللّه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق» (عب ٥:١٠).

كنيسة المسيح تحوي داخلها:

١) إعادة الإنسانيّة من الظلمة إلى النّور.

٢) تحرير الإنسان من **سلطان الشيطان** إلى حريّة اللّه.

« ومن الذين أنا الآن أرسلُكَ إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى اللّه.» (أعمال٢٦:١٦-١٧).

الكنيسة هي المستودع والإطار الروحي لخدمة الرسُل الأطهار وخلفائهم الكهنة الذين يقومون بتتميم العمل الإلهي الليتورجي الملموس والظاهر على الأرض ، ليتسنّى لهم إنجاز عمل المسيح الخلاصي ، كما الطغمات الملائكيّة للكنيسة غير المنظورة في السماويّات.

إنّ الكنيسة المسكونيّة أُقيمت على أساس الرُسل ، كما يُؤكّد ذلك الرسول بولس العظيم «مبنيين على أساس الرُسُل» (أفسس ٢:٢٠). لذا حريٌّ بنا أن ندرك المكانة الفريدة للرسُل الأطهار عن باقي مواكب القديسين الأبرار.

لذا تسمّى كنيستنا : الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة. فالإنتماء الرسولي يربطنا من الناحية التاريخيّة والإيمانيّة والعقائديّة بعظمة هذا الإنتماء الروحي لهذه الكنيسة محفّزاً إيّانا أن نحفظ شوط الإيمان غير متقسّم ، لنكون أُمَناء حافظين بعناية هذه الوديعة الإلهيّة لنا وللبشريّة جمعاء . آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الرسالة الرابعة من رسائل القديس أنطونيوس الكبير

البرّ الذي يقود إلى التبنّي:

أنطونيوس يتمنّى لكلّ إخوته الأعزّاء فرَحاً في الربّ.

يا أعضاء الكنيسة سوف لا أملّ من ذكركم ، أريد أن تعرفوا أنّ المحبّة التي بيننا ليست محبّة جسديّة ولكن روحيّة إلهيّة. **لأنّ الصداقة الجسديّة ليس لها صلابة وثبات ، إذ تحرّكها رياح غريبة. إن كلّ مَن يخاف اللّه ويحفظ وصاياه ، فهو خادم اللّه. وهذه الخدمة ليست الكمال بل البرّ الذي يقود إلى التبنّي.** ولهذا السبب فإنّ الأنبياء والرُسل ، وهم الجماعة المقدّسة الذين إختارهم اللّه وائتمنهم على الكرازة الرسوليّة ، أصبحوا بصلاح اللّه أسرى للمسيح يسوع. لذلك يقول بولس: «بولس أسير يسوع المسيح المدعو رسولاً» (أف٣:١ و رو١:١). **لذا فإنّ النّاموس المكتوب يعمل فينا بعبوديّة صالحة ، إلى أن نصبح قادرين على السيادة على كلّ شهوة. ونصبح كاملين في الخدمة الصالحة للفضيلة من خلال هذا المستوى الرسولي.**

القديس أنطونيوس الكبير

روح التبنّي:

لأنّه إن إقترب إنسان من النعمة فإنّ يسوع سيقول له: «سوفَ لا أدعوكم عبيداً ، بل أدعوكم أصدقائي وإخوتي لأنّ كلّ الأشياء التي سمعتها من أبي أخبرتكم بها» (يو١٥:١٥). **فإن كلّ الذين إقتربوا من النعمة وتعلّموا من الروح القدس قد عرفوا أنفسهمّ حسب جوهرهم العقلي. وفي معرفتهم لأنفسهم صرخوا قائلين:** «لأنّنا لم نأخذ روح العبوديّة للخوف ولكن روح التبنّي الذي به نصرخ يا أبا الآب» (رومية ٨:١٥)، حتى نعرف ماذا أعطانا اللّه. «إذا كنّا أبناء فإنّنا ورثة أيضاً ، ورثة اللّه ، ووارثون مع القديسين» (رومية ٨:١٧).

الفضائل لكم:

يا أبنائي الأعزّاء والوارثين مع القديسين ، **إنّ كل الفضائل ليست غريبة عنكم ، ولكنّها لكم إذا كنتم لستم تحت الخطيّة (الذنب) من هذه الحياة اللحميّة** ، ولكنّكم ظاهرون أمام اللّه. **لأنّ الروح لا يسكن في نفس الإنسان المدنّس القلب ، ولا في الجسد الخاطىء ؛ لأنّه قوّة مقدسة ومنفصل عن كلّ خداع وشرّ.**

اعرفوا أنفسكم:

حقيقة يا أحبائي إنّي أكتب لكم كما لرجال عقلاء عرفوا أنفسهم ـ **لأنّ مَن عَرَفَ نفسه عَرَفَ اللّه ومَن عَرَفَ اللّه يستحق أن يعبده بالحقّ. أحبائي في الربّ إعرفوا أنفسكم لأنّ الذين عرفوا ذواتهم يعرفون زمانهم ، والذين يعرفون زمانهم ، يستطيعون أن يبقوا ثابتين**، لا يتحرّكون باللغات المتنوّعة (بالتعاليم الغريبة).

لأنّه بالنسبة **لآريوس** الذي **تعظّم (تكبّر)** في الإسكندريّة وتكلّم بأقوال غريبة عن الإبن الوحيد جاعلاً بدايةً للذي لا بداية له ، ونهايةً لمن يفوق فحص وإدراك البَشَر ، ونَسَبَ التغيير لغير المتغيّر. فإذا أخطأ إنسان ضدّ آخر فإنّهم يستعطفون اللّه من أجله ، ولكن إذا أخطأ إنسان ضد اللّه فمن الذي يُصلّي لأجله ؟ (أنظر ١ صم ٢:٢٥). لذلك فإنّ هذا الرجُل أخذَ على عاتقه أمراً خطيراً ، وجُرحه غير قابل للشفاء. لأنّه لو عرَف مثل هذا نفسه لما تكلّم لسانه عمّا لا يعرفه. ولكن من الواضح أنّه لم يعرف نفسه.

الروح القدس

للقديس أثناسيوس الكبير رئيس أساقفة الإسكندرية

ضد البدعة الآريوسيّة الممقوتة

والتي تشبه كثير من البدَع في أيامنا الحاضرة

... كان من الطبيعي أنّي تحدَثتُ أوّلاً وكتبتُ عن **إبن اللّه** ، حتى أنّه من معرفتنا عن الإبن ، يمكن أن تكون لنا **معرفة حقيقيّة عن الروح** ، لأنّنا سنجد أن خصوصيّة الروح نحو الإبن ، هي مثل خصوصيّة الإبن نحو الآب ، وكما يقول الإبن: «كلّ ما للآب هو لي» (يو١٦:١٥)، هكذا فإنّنا سنجد أنّ كلّ هذه الأشياء ، هي في الروح أيضاً بواسطة الإبن. وكما أعلن الآب عن الإبن قائلاً: «هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت» (متى ٣:١٧)، هكذا الروح هو للإبن لأنّ الرسول يقول: «أرسل اللّه روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غلاطية ٤:٦) ، والأمر الجدير بالملاحظة هو ما قاله الإبن: «ما لي فهو للآب» (يو ١٧:١٠).

هكذا الروح القدس الذي قيل إنّه للإبن ، فهو للآب لأن الإبن نفسه يقول: «ومتى جاء المعزّي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو ١٥:٢٦). وبولس يكتب أيضاً : «ليس أحد من الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه ، هكذا أيضاً أمور اللّه لا يعرفها أحد إلاّ روح اللّه ، ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من اللّه لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من اللّه» (١كو٢:١١-١٢)، وفي الكتاب الإلهي ، سوف نجد أنّ الروح القدس الذي يقال عنه أنّه للإبن يقال عنه أيضاً أنّه للّه. وهذا ما كتبناه في الرسائل السابقة.

لذلك ، إن كان الإبن بسبب خصوصيّته مع الاب ، وبسبب أنه **المولود الذّاتي لجوهر الآب** فهو ليس مخلوقاً بل من نفس جوهر الآب. وبالمثل فإن الروح القدس لا يمكن أن يكون مخلوقاً بل أن مَن يقول هذا **فهو كافر** ، وذلك بسبب خصوصيّته مع الإبن الذي بواسطته ، يُعطى لجميع البشر ، ولأنّ كلّ ما له فهو للإبن.

هذه الأسباب كافية **لأن تُقنع كلّ محبّ للمشاكسة** ، بألاّ يستمرّ في القول بأن روح اللّه مخلوق ، وهو الذي في اللّه ، والذي يفحص أعماق اللّه ، والذي يُعْطَى من الآب بواسطة الإبن ، وحتى لا يضطرّ نتيجة لهذا أن يدعو الإبن أيضاً مخلوقاً الذي هو **الكلمة ، والحكمة ، والرسم ، والشعاع ، والذي مَن يراه يرى الآب** . وحتى لا يسمع أخيراً «كلّ مَن يُنكر الإبن ليسَ له الآب أيضاً» (١يو٢:٢٣). لأنّ مثل هذا الإنسان سيصل بعد قليل **إلى القول مع الجاهل** «**ليس إله**» (مز ١٣:١).

ورغم ذلك فلكيّ يكون برهاننا **ضدّ عديمي التقوى** أكثر قبولاً ، يكون حَسَناً أن نَضَع في إعتباراتنا تلك الأسباب التي تبيّن أنّ الإبن ليس مخلوقاً ، ومنها يتبيّن أيضاً أنّ الروح القدس ليس مخلوقاً. فالمخلوقات مخلوقة من العَدَم ولها بداية وجود ، لأنّه «في البدء خلَقَ اللّه السموات والأرض» (تك١:١) ، وكل ما فيها. وأما الروح القدس فهو من اللّه ، ويُقال عنه إنّه «**من اللّه**» كما قال الرسول. ولكن إن كان الإبن ليس من العَدم بل من اللّه فمن الطبيعي ألاّ يكون مخلوقاً ، وبالضرورة يكون الروح غير مخلوق ، لأنّنا قد اعترفنا أنّه من اللّه. فالمخلوقات هي التي من العدم.

وأيضاً فالروح القدس يُدعى ـ وهو كذلك ـ **مسحة وختم**. إذ يكتب القديس يوحنا الإنجيليّ: «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن

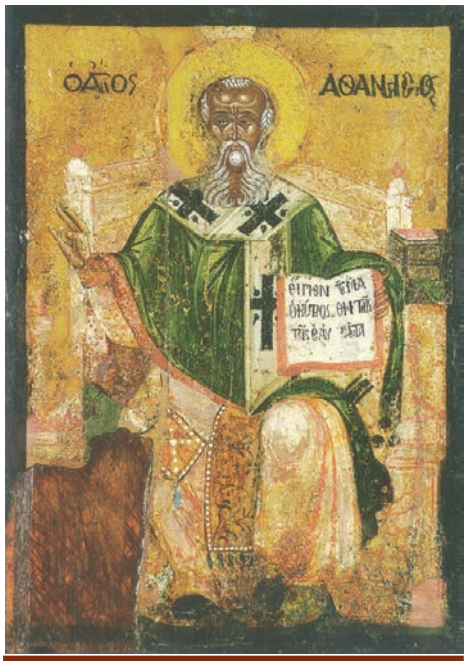

القديس أثناسيوس الكبير حامي الإيمان المستقيم

يعلمكم أحد بل كما تُعلمكم مسحته ، روحه ، عن كلّ شيء» (١يو ٢:٢٧). وقد كُتِبَ في أشعياء «روح الربّ عليّ لأنّه مسحني» (إش ٦١:١). وأيضاً بولس يكتب «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتُم» (أفسس ١:١٣). وأيضاً «لا تُحزنوا روح اللّه القدّوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (أفسس ٤:٣٠). فالمخلوقات تُمسَح وتُختَم فيه. ولكن إن كانت المخلوقات تُمسَح وتُختَم فيه فلا يكون الروح مخلوقاً ، لأن الذي **يَمسَح** ليس مثل الذين يُمسَحون. ولأن المسحَة أيضاً هي مسحَة الإبن ، حتى أنَّ الذيَ عنده الروح يقول: «نحنُ رائحة المسيح الزكيّة» (٢كو٢:١٥).

والختم يُعطي **بصمة الإبن** ، حتى أنّ المختوم يكون صورة الإبن إذ يقول الرسول: «يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسيح فيكم» (غلاطية٤:١٩). فإذا كان الروح هو رائحة الإبن الزكيّة وصورته ، فمن الواضح أنّ الروح لا يمكن أن يكون مخلوقاً. وكذلك ، حيث إنّ الإبن هو صورة الآب ، فهو ليس مخلوقاً ، وأيضاً لأنّه كما أنّ مَن يرى الإبن يرى الآب ، هكذا فمن له الروح القدس ، له الإبن ، وإذ يكون له ، فهو هيكل اللّه ، إذ أنّ بولس يكتب «أما تعلمون أنّكم هيكلٌ وأنّ روح اللّه يسكن فيكم» (١كو٣:١٦). ويقول يوحنا الإنجيليّ «بهذا نعرف أنّنا نثبت في اللّه وهو فينا ، لأنّه قد أعطانا من روحه» (١يو٤:١٣). وإذا كان الإبن في الآب، والآب فيه ، ولذلك إعترف أنّه ليس مخلوقاً،

وإذاً فمهما كان الأمر ، يستحيل أن يكون الروح القدس مخلوقاً ، لأن الإبن فيه وهو في الإبن ، ولذلك فمن يقبل الروح يُدعى هيكلاً للّه.

وأيضاً فمن المستحسن أن ننظر معاً إلى الأمر في ضوء ما يأتي: إذا كان الإبن هو كلمة اللّه فهو واحد كما أنّ الآب واحد ، لأنّه «يوجد إله واحد الذي منه جميع الأشياء ... ورب واحد يسوع المسيح» (١كو٨:٦). لذلك يُقال ويُكتَب عنه إنّه «**الإبن الوحيد**»، وأمّـا المخلوقات فهي كثيرة ومتنوّعة: ملائكة ، رؤساء ملائكة ، شاروبيم ، رئاسات ، سلاطين ، وغير ذلك كما سَبَق أن قلنا. وإذا كان الإبن ليس من بين الكثيرين **ولكنّه واحد ، كما أن الآب واحد** وهو ليس مخلوقاً فبالضرورة ـ لأنّه ينبغي أن نأخذ من الإبن معرفتنا عن الروح ـ لا يمكن أن يكون الروح مخلوقاً ، لأنّه ليس من بين الكثيرين، بل هو نفسه واحد.

وهذا ما **يُعرّفه** الرسول إذ يقول: «هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١كو١٢:١١). وبعد قليل أضاف: «لأنّنا جميعاً بروح واحد أيضاً إعتمدنا إلى داخل جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو١٢:١٣). وأيضاً ، لأنّه إن كان يجب أن نأخذ معرفتنا عن الروح من الإبن ، وإذن فمن الواجب أن نقدّم براهيناً مستمدّة منه ، فالإبن يوجد في كل مكان لأنّه كائن في الآب ، والآب فيه ، وهو يضبط كلّ الأشياء ويحفظها وقد كُتب «**فيه يقوم الكلّ**» سواء ما يُرى وما لا يُرى، «وهو قبل كلّ شيء» (كولوسي ١:١٧). ولكن المخلوقات توجد في الأماكن المخصّصة لها: الشمس والقمر والأنوار الأخرى في الجَلَد، والملائكة في السماء والناس على الأرض. ولكن إذا كان الإبن ليس في أماكن مخصّصة له ، بل هو كائن في الآب ويوجد في كل مكان ، وأيضاً هو خارج كلّ الأشياء ، فهو ليس مخلوقاً ، ويتبع ذلك أنّ الروح أيضاً لا يمكن أن يكون مخلوقاً لأنّه ليس في أماكن مخصّصة له ، بل هو يملأ كلّ الأشياء ويوجد خارج الكل لأنّه هكذا قد كُتب «روح الربّ ملأ المسكونة» (حكمة١:٧) ، ويرتّل داود: «إلى أين أذهب من روحك» (مزمور ١٣٨:٧)، كما أنّه ليس كائناً في أيّ مكان من الأمكنة ، بل هو خارج كلّ الأشياء ، وهو في الإبن كما أن الإبن هو في الآب ، لذلك فهو ليس مخلوقاً كما قد تبيّن.

وبالإضافة إلى كلّ ما سبَق ، فإنّ الإعتبارات التالية سوف تُثبت **إدانة البدعـة الآريوسيّة (ملاحظة:إنّ بدعة شهود يهوه أيضاً هرطقة مميتة فإنّها تتبنّى أفكار البدعة الأريوسيّة نفسها)**.

ومرّة أخرى فإنّه من الإبن سيتضح ما نعرفه عن الروح. فالإبن هو خالق مثل الآب لأنّه يقول: «الأشياء التي أرى الآب يعملها ، هذه أعملها أنا أيضاً» (أنظر يوحنا٥:١٩). وبالتأكيد «كلُّ به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كُوّن» (يوحنا ١:٣). ولكن إن كان الإبن مثل الآب خالقاً ، فهو ليس مخلوقاً. وإذ كانت كلّ الأشياء به خُلقَت ، فهو ليس من بين الأشياء المخلوقة ، وعلى هذا يتبيّن ، أن الروحَ ليس مخلوقاً ، لأنه قد كُتب عنه في المزمور المئة والثالث: «تنزع أرواحهم فيفنون وإلى تَرابهم يرجعون. تُرسل روحك فَيُخلَقون وتجدّد وجه الأرض» (مزمور ١٠٣:٢٩–٣٠). ■

يتظاهرون بالتقوى والعفة ، ولكنّهم ....

جفنة سدوم: (نبات) وهي شجيرة بقرب سدوم ، وتحمل عناقيد أثمار مرّة كالحنظل (تثنية ٣٢:٣٢) وارتأى البعض أنّها الشجرة المعروفة بالعشر عند العرب ، يبلغ علوّها ١٥ قدماً وثمرها كَرَويّ أصفر اللّون يشبه البرتقال في الحجم والشكل ويتدلّى منها على هيئة عناقيد في كل منها ثلاث أو أربع ثمرات. ويبلغ قطر جزع هذه الشجرة ٨ قراريط ، وأثمارها شهيّة للنظر ناعمة الملمس غير أنّه إذا ضُغطَ عليها أو عُصرَت إنفجرت كانفجار الزقّ المملوء هواءً ، ويبقَى في يد مَن يضَغط عليها بقايا قشورها الرقيقة مع بعض أليافها. ويقول يوسيفوس عن أثمار جفنة سدوم أنّها إذا قُبِضَت باليدّ إنحلّت إلى دخان ورماد. وموطن هذه الشجرة في مصر العليا وبلاد العرب والهند ، كما أنّها تنمو في عين جدي وأنحاء أخرى من وادي البحر الميّت الحارّ المناخ.

وقد قصدَ النبيّ موسى بالآية المُشار إليها في (تثنية ٣٢:٣٢) أن يَصف بصورة مجازيّة **دناءة أعداء اللّه ونجاستهم ، فإنّهم يتظاهرون بالتقوى والعفّة ولكنّهم بالحقيقة هم مثل أثمار جفنة سدوم.**

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ويقول **الشمّاس** للكاهن: فصّل يا سيّد الخبز المقدّس.
و**الكاهن:** يفصّله أربعة أجزاء بانتباه وورع قائلاً: يفصّل ويجزّأ حمل اللّه الذي يفصّل ولا يتقسّم ، الذي يُؤكل منه دائماً ، وهو لا يفرغ أبداً ، لكنّه يقدّس المشتركين به.

* يُفَصَّل حمل اللّه

في أوّل قدّاس إلهيّ أُقيم على الأرض ، جزّأ المسيح «**الخبز**» وأعطاه للأثني عشر قائلاً: « خذوا كلوا ، هذا هو جسدي الذي يُكسر من أجلكم». عمل الربّ هذا يُستعاد في كلّ قدّاس إلهيّ: يفصّل الكاهن حمَل اللّه ويقدّم للمؤمنين الجسد المقدّس ﴿الذي يكسر﴾.

لّما كان المسيح معلّقاً على الصليب لم يكسر الجنود عظماً من عظامه المقدّسة ، على منوال اللصيّن المصلوبَين معه ، وذلك «ليتمّ الكتاب القائل: عظم لا يُكسر منه» ، إلاّ أنّه يفصَّل في ذبيحته الليتورجيّة ويقدَّم إلى المؤمنين. ويقول **الذهبيّ الفم**: «إنّ المسيح في تقدمته لأجلك يحتمل ما لم يحتمله على الصليب فيرتضي أن يتجزّأ ليُشبع الجميع».

المسيح هو الكائن الحقّ الذي يتناوله الجميع دون أن يفرغ أبداً بتناول المشتركين فيه ، «فلنفترض ، على حدّ تعبير **الذهبيّ الفم** أن هناك مصدر نار يضاء منه عشرة آلاف مشعل في المرّة الأولى، ومن ثمّ مقدار مماثل في المرّة الثانية ، ومقدار آخر في المرّة الثالثة ، وهكذا دواليك. هل يمكننا بعدها أن نقول إنّ النّار قد فقدت قوّتها ولمعانها بعد أن أضاءت هذا العدد من المشاعل؟ ». المسيح هو نبع نار «لا يفرغ أبداً عندما يُعطَى للآخرين. وهو رغم إنسكابه على الجميع ومنحه الصالحات بحال دائمة ، يبقى كاملاً في كماله».

يجزّأ المسيح ولا يتقسّم. المسيح هو كلّه في كلّ جزء من الخبز المقدّس بعد تفصيله، «وإن كان يُجزّأ إلاّ أنّه يبقى بلا تقسيم ، ونحن نقرّ ونعترف أنّه فعلاً موجود بكليّته في كلّ جزء من الأجزاء التي جرى تفصيلها».

أمّا المشتركون منّا في المائدة الشريفة فيأخذ كلّ منّا المسيح بكليّته فيمتلىء به بالكليّة. هكذا يصير بإمكان أولئك المتناولين أن يكونوا آلهة بحسب النعمة ويُدعَوا كذلك، كون اللّه بكليّته قد ملأهم دون أن يترك عضواً من أعضائهم فارغاً من حضوره» (مكسيموس المعترف). إذاً ، المسيح موجود بكليّته في كلّ واحد منّا. موجود بكليّته في كلّ كنيستنا المقدّسة. موجود، في طول الأرض وعرضها ، وعلى مدى الدهور.

«ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا»(يو١:١٦). نقتبل ملء «**الحياة**» ونؤلّف الكنيسة المقدّسة «التي هي جسده ، ملء الذي يملأ الكل في الكلّ». وإذا كانت المأكولات الماديّة تنفذ دوماً ، إلا أن حمل اللّه «يؤكل منه وهو لا يفرغ أبداً».

ويقول **الشمّاس** : كمّل يا سيّد الكأس المقدّسة.
فيتناول **الكاهن** الجزء الأعلى ويرسم به علامة الصليب على الكأس المقدّسة ويضعه فيها قائلاً:
كمال كأس الإيمان بالروح القدس. **الشمّاس** : آمين

* واحد هو المسيح

لقد أتَمَّ الكاهن ثلاثة أفعال متتالية منذ قال: «**القدسات للقديسين**». فقد رفع جسد المسيح المقدّس ، و«**جزأه**» و «**أتحده**» بدمه المقدّس.

أما «**رفع**» جسد المسيح فيتمّ عند قوله «القدسات للقدّيسين». ويقول **القديس جرمانوس** إنّ «رفع الجسد الكريم هو رسم للإرتفاع على الصليب وللموت عليه وللقيامة نفسها». ويأتي أيضاً تفسير **القدّيس يوحنا الدمشقي** في خطٍّ مشابه إذ يقول: «يرتفع (جسد المسيح) على يديّ الكاهن كما لو كان يرتفع على الصليب».

والكاهن يرفع من على الصينيّة المقدّسة الخبز المقدّس فقط. «عليها نتصوّر الآلام الإلهيّة الحاملة الحياة التي تنكشف لنا. إنّها آلام ذاك الذي ذُبح لأجل حياة العالم».

أما «**تجزئة**» جسد المسيح المقدّس ، فتتمّ عند قول الكاهن: «يفصّل ويجزّأ حمل اللّه ...». يفصّل الكاهن جسد المسيح المقدّس إلى أربعة أجزاء ويضعها على شكل صليب فوق الصينيّة المقدّسة. «كسر الخبز الكريم هو إشارة إلى الذبح». كما يقول القدّيس أفتيخيوس بطريرك القسطنطينيّة.

عمليّة < كسر الخبز > هي الفعل بامتياز الذي يُظهر المسيح. «فعند كسر الخبز» عرفه التلميذان على طريق عمواس، وبهذا الإسم عرّف المسيحيّون الأوائل القدّاس الإلهيّ. بكسر الخبز «المسيح الذي يتقسّم يتجزأ إلى أجزاء عدّة لأجلنا حتى نتناول كلّنا جسده المقدّس ، وبينما هو لا يتقسّم إذ به يتجزأ لأجلنا ، فيتحدنا بذاته ويجعلنا في إتّحاد واحد ، كما صلّى بالضبط لأبيه». كما ورد عند القديس سمعان أسقف تسالونيك. **يتبع**

ما بين نصف الخمسين وعيد المظال

تتمة من العدد السابق

(٣)

المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
تعريب الأب أنطوان ملكي

السيّد المسيح يناقش حكماء اليهود في المجمع

تقدّم لنا **الأمثال** مثالاً مميزاً عن هذه الظاهرة. لم يتكلّم المسيح بأمثال لكي يجعل كلامه أكثر وضوحاً، بل بالضبط لكي يحجب الحقائق العظيمة، أي أن الأنطباع بأن المسيح كان يتكلّم ببساطة لكي يفهم بسطاء زمانه ليس صحيحاً. عندما أورد المسيح مثل البذار، لم يفهم اليهود معنى المثل ومحتواه العميق. وعندما اقترب التلاميذ ليسألوه معنى هذا المثل قال لهم: «لَكُمْ قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللّه، وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَال، حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ.» (لوقا٨:٩-١٠). يبدو واضحاً أن الصور في الأمثال استُعملَت لتخفي معاني الأمثال التي كانت تُشرَح للتلاميذ المهيئين لها. **القديس ثيوفلكتوس**، في تفسيره لهذه النقطة، يقول: أن التلاميذ كانوا مستحقين لمعرفة أسرار ملكوت السماوات، بينما الآخرون كانوا يُخبَّرون «على نحو غامض»، حتى إذا ما رأوا وسمعوا لا يستوعبون المعنى. لكن المسيح فعل هذا ليس من باب الانتقائية، بل من باب المحبة والعناية. فلأنه كان يعرف أنهم سوف يزدرون أسرار الملكوت بعد أن يعرفوها، فقد أخفاها «حتى لا تزيد دينونتهم».

إذاً نرى من مثل البذار أن البعض، مثل الجموع، يسمعون كلمة اللّه في الأمثال، وآخرون، مثل التلاميذ، يعرفون أسرار ملكوت اللّه، وغيرهم، مثل التلاميذ الثلاثة الذين صعدوا على طور ثابور، يرون المسيح المتجلّي. يتوقّف الأمر على حالة المستمعين الروحية.

✚ تأتي كلمة اللّه كوصايا لخلاص الإنسان. هناك إنطباع بأن وصايا اللّه هي تركيبات شرعية تحدّ من حرية الإنسان. ولكن بعد كل ما رأينا عن كلمة اللّه التي هي **قوة إلهية**، يظهر أن الوصايا تشفي الإنسان وتعطيه الصحّة. المسيح الذي هو النموذج الأول لخلق الإنسان، يعرف كيف خلقه وإلى أي حالة قادته الخطيئة. عادةً نحن لا ندرك هذه الحالة، بالتحديد لأننا لا نعرف صورتنا الأصلية، أي كيف كان آدم في الفردوس. لهذا يقول **القديس غريغوريوس السينائي** أنه لو لم نعرف كيف خلقنا اللّه لما كنا استطعنا أن نفهم كيف **حطمتنا الخطيئة**. من خلال وصايا المسيح، التي أعطاها في العهدين القديم والجديد، يُرجى أن يُعاد الإنسان إلى حالته السابقة وأن يُقاد إلى أعلى.

إذاً، تفترض وصايا اللّه أن الإنسان مريض وعلى أساس معرفة عمل الكائن البشري تساعده على الانتقال من المرض إلى الصحّة. هنا أيضاً تشبه حين يعطينا الطبيب وصايا، فهي لا تجرّد الإنسان من الحرية بل تنمّيها وتطورها. أي حريّة للمريض؟ يحدّ مرض جسده كل حرياته وحركاته. يعلّم **القديس يوحنا الدمشقي** أننا عادةً نفتكر بأننا نحفظ وصايا اللّه، وأنها تحصرنا، لكن في الحقيقة الوصايا تحمينا. مَن يحفظ وصايا اللّه لا يحافظ عليها، وعلاوة على ذلك، لا تحتاج الوصايا للحفاظ عليها، بل هو المحفوظ والمحمي من الأعداء المنظورين وغير المنظورين الذين يتآمرون على حياة نفوسنا وأجسادنا. إذاً مَن يحفظ الوصايا ليس فقط محفوظاً بنعمة اللّه، بل في الوقت نفسه لا يخسر الغنى الذي عهد به الله إليه.

تعليم المسيح، كما ذكرنا، هو **قوة اللّه**، وفوق هذا هو قوة تشفي الإنسان. إذاً نحن ندرس كلمة اللّه المحتواة في الكتاب المقدس ولذلك تقرأ الكنيسة الأناجيل والرسائل في القداس الإلهي، كما أن نصوص العهد القديم تُقرأ في السهرانية والخدم الأخرى. عظة المسيح على الجبل، كلماته قبل كلّ معجزة وبعدها، كل الوصايا التي أعطاها بنفسه إلى التلاميذ والرسل، كلمات التلاميذ والآباء القديسين، كلّها رائعة لأن المسيح تكلّم عبرها.

✚ تظهر حقيقة كون كلمة اللّه قوة، من تأثيرها على المعجزات التي قام بها المسيح. كما أن اللّه قال «ليكن نور» كان النور (تكوين١:٣)، كذلك تماماً أنجز هو أموراً رائعة تُسمّى علامات وعجائب، أي معجزات. لم يقم المسيح بأي شيء من دون سبب وهدف. في دراسة الأناجيل المقدسة نكتشف أنّه أحياناً تكلّم، وكغطاء للتصديق على كلامه أتمّ العجائب، وأحياناً أخرى أنجز المعجزة ومن ثم كشف حقيقة لاهوتية مهمة.

سوف أشير إلى بعض الأمثلة المميزة التي تثبت هذه الحقيقة. كشف المسيح في العظة على الجبل حقائق عظيمة معروفة جداً. في تفسيره لهذه النقطة، يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنّ عند تفحّص المرء للأناجيل بتأن، يكتشف أنّ المسيح قبل صعوده إلى الجبل لتعليم الناس، شفى كثيرين وبهذا هيّأ اليهود لما سوف يخبرهم به. وهكذا كانت العجائب التي سبقت التعليم مهيئة له، والعجائب التي تبعت العظة لتثبيت ما سمعوه.

ثمّة تمييز في الأناجيل بين العلامات والمعجزات. المعجزة الحقيقية هي غفران الخطايا، لأن لا أحد غير المسيح يستطيع ذلك. كما يقول القديس يوحنا الدمشقي، ما من أحد من بطاركة العهد القديم وأبراره، بمعزل عن شركتهم مع اللّه والنعمة الخاصة التي كانت لهم، إستطاع أن يغفر الخطايا. هذا **عمل المسيح لأنّه الإله الحقيقي**.

لهذا، إن غفران الخطايا هو المعجزة العظمى التي تثير الإعجاب. من ناحية ثانية، بما أن اليهود **شَكّوا** في هذه الإمكانية، فقد أتمّ العلامة بعد الغفران، فشفى الجسد ليؤكّد أنّه قادر على شفاء صحة النفس. يظهر هذا بوضوح في معجزة المخلّع، أولاً غفر خطاياه وعندما شكّك اليهود بهذا شفى الجسد. «وَلكِنْ لكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (متى٩:٦).

لم يأت المسيح إلى العالم ليتمّ العجائب مع أنّه تأثّر بألم الناس وتشوشهم، لكنّه أتّمها لكي يفهم اليهود أنّه أتى **ليخلّصهم** من **الخطيئة والموت والشيطان**. لم يأت المسيح ليشفي أجسادهم فقط بل ليرعى أنفسهم إلى الفلسفة. الفرق بين شفاء النفس وشفاء الجسد هو على نفس القدر من الأهمية كالفرق بين النفس والجسد. لكن شفاء النفس هو الأعظم والأكثر غموضاً، فيما شفاء الجسد أكثر جلاءً وظهوراً. لهذا يقوم المسيح بما هو جلي وواضح، أي العجائب، لكي يبرهن ما هو أكثر عظمة وأقلّ ظهوراً، أي غفران الخطايا وخلاص الإنسان (القديس يوحنا الذهبي الفم).

في حالات شفاء الأرواح النجسة، كان المسيح أكثر اهتماماً بإفهام اليهود، من جهة بوجود الأرواح الشريرة، ومن جهة أخرى بأنّ سلطانه هو أقوى من هذه الأرواح. بحسب **القديس غريغوريوس بالاماس**، يُخرج المسيح الأرواح من المسوسين لكي نفهم أنّه هو الذي يخرج الشياطين ويمنحنا الحرية الأبدية. لهذا نصح **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «لا تطلبوا العلامات بل خلاص النفوس». ومن ناحية أخرى، غالباً ما يكون في العلامات شبهة التخيّل، أي قد يتمّ تفسيرها بطريقة مختلفة، ويمكن للشياطين أيضاً أن تنجز عجائب بتدبير إلهي، لكنها مختلفة عن تلك المتلازمة مع الحياة الطاهرة التي تسكت كل الذين يرون الإنسان الموسوم بالفضيلة. لهذا السبب أيضاً، العلامات وأشفية الجسد هي لغير المؤمنين وليست للمؤمنين (القديس يوحنا الذهبي الفم).

تظهر العلاقة بين تعليم المسيح وعجائبه في الكثير من العلامات. لقد شفى العميّ ومن ثمّ أعلن **أنّه نور العالم**. لقد أشبع خمسة آلاف بخمس أرغفة وسمكتين ومن ثمّ أعلن **أنّه الخبز النازل من السماء**، فيما كان يتحدّث فعلياً عن الإفخارستيا المقدسة. لقد ظهر للمرأة السامرية وفي الوقت نفسه كشف **أنّه الماء الحي**. أقام لعازر والآخرين، ابنة ياييرس وابن أرملة نايين، وأعلن **أنّه القيامة والحياة**. يمكننا إيجاد هذه الصلات والارتباطات من بداية الأناجيل إلى نهايتها. يلاحظ **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن المسيح لم يثبت على واحد فقط من التعليم أو إنجاز المعجزات بل كان يستعمل هذا أو ذاك ليقدّم الخلاص. وهكذا، في بعض الأحيان أراد أن يظهر كمعلّم ذي سلطان بالعلامات التي أنجزها، وفي أحيان أخرى أراد من خلال تعليمه أن يزيد فائدة العلامات التي أنجزها.

وهكذا فإن لعجائبه كما لتعليمه الصفة الخلاصية. يرى **القديس نيقولا كاباسيلاس** في الصلوات الليتورجية **نبالة آلام المسيح** التي من خلالها تحقق خلاص البشر. نحن نعرف أن في الأنافورا الجملة التالية: «ذاكرين أوامر الخلاص وكل الأمور التي صارت لنا: الصليب والقبر والقيامة في اليوم الثالث والصعود إلى السماوات والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد...» نحن نرى هنا أن الآلام والصليب والقيامة والصعود والمجيء الثاني التي نتذكّرها ليست العجائب. يقول **نيقولا كاباسيلاس** أننا في هذا لا نتذكّر المعجزات، لأن الآلام والصليب أكثر أهمية منها لأنها أعمال الخلاص التي بدونها لم يكن الإنسان ليقوم، بينما المعجزات هي مجرد دلالات على الخلاص وليست منتجَة له ما يعني أن اليهود كانوا قادرين أن يؤمنوا بأن المسيح كان المخلّص الذي انتظروه.

✚ لقد تحدّثنا سابقاً عن كلمة اللّه، أي قوة اللّه غير المخلوقة، وأيضاً عن العلاقة بين كلمة اللّه والمعجزات. الآن علينا أن نذكر بعض الأشياء حول المعجزات التي قام بها المسيح أي أن ندرس قيمتها وصفتها اللاهوتيتين. يرى البعض أن العجائب هي استبعاد للقانون الطبيعي، أي أنهم يرون أن اللّه حين خلق العالم وضع القوانين الطبيعية في خليقته وعندما تتم المعجزات تُعلَّق هذه القوانين. هذه النظرة ساقطة لاهوتياً. أولاً، علينا أن نذكر أن عند آباء الكنيسة عقيدتين أساسيتين حول خلق العالم وعلاقة اللّه به. الأولى هي أنّ اللّه خلق العالم من العدم، والأولى أنّه يوجهه لا بوسائل مخلوقة بل بقوته غير المخلوقة. هذا يعني أنّه لا يوجد قوانين طبيعية تسوس الخليقة أي أن اللّه لم يخلق العالم ويتركه لقدره، بل هو شخصياً يديره بقوته غير المخلوقة المتماسكة المعتنية. لا يوجد قوانين طبيعية في الخليقة بل هناك قوانين روحية، وهي القوة الإلهية. إذا لم نرَ الأمور بهذا المنظار **نُغَرّب** اللّه عن العالم أو ننسب الحاجة إلى اللّه. لقد شدّد المسيح دائماً على أن الآب السماوي يعمل، فهو يطعم طيور السماء ويلبس الأرض (متى٦:٢٦-٢٨)، وهو يهتمّ بكل شيء. عندما يكون هناك بعض الأمور التي تتكرر بطريقة طبيعية فهذا لا يعود إلى قانون طبيعي بل إلى جدارة القوة الإلهية، أي أن اللّه يريد أن يتصرّف بالطريقة نفسها دائماً. من هنا أن العجائب ليست خرقاً للقوانين الطبيعية، وكأن اللّه يشكك بنفسه، بل فيما هو يعمل دائماً بطريقة ما، في لحظة محددة ينجز المعجزة بطريقة مختلفة. إنّها مسألة تدخل شخصي من اللّه في العالم، كما يفعل دائماً، كل مرة بطريقة مختلفة. مع هذا، في الحديث عن معجزات المسيح والذين ارتبطوا به، علينا أن نلاحظ نقطتين.

النقطة الأولى : بما أن المسيح هو إنسان كامل وإله كامل، والطبيعة البشرية التي اتخذها من العذراء تقدّست منذ لحظة الحَبَل الأولى، فهو قادر دائماً على القيام بالمعجزات، حتى منذ الولادة. لكن لم يكن مفترضاً به أن يقوم بالعجائب في عمر مبكر حتى لا يظنوا أنّه ليس بشريّاً. لهذا كان هناك حَبَلٌ لفترة تسعة أشهر وولادة ورضاعة ومرور هادئ للزمن، وقد انتظر إلى العمر المناسب ليبدأ عمله بين البشر. وقد قام بكل هذا ليكون سر التدبير مقبولاً. (القديس يوحنا الذهبي الفم).

يتبع

الملائكة و الشياطين

م. باسيليك شلينك

تتمة من العدد السابق

الفصل الثاني:

الشيطان، في يوم انتصاره!

أسلفنا القول ، بأنّ عالم الشياطين ، أو الملائكة الساقطين هو عالم فعلي واقعي حقيقة ينبغي أن نضعها في عاقلتنا على الدوام. وإذ قيل إعرف عدوّك ، فإنّنا ينبغي أن نواجه هذه الحقيقة الرهيبة حتى لا نؤخذ على حين غرّة ونقع تحت سلطان عالمهم الرهيب ...

واليوم نرى بأنّ الشيطان يستعلن أقصى قوّته بحسب ما تتنبأ به الأسفار المقدّسة بخصوص نهاية الأزمنة. (رؤيا ١٢:١٢) ، ويجد الشيطان ، مع أبالسته في الزمان الحاضر آلات طيّعة بين بني البشر ، لتنفيذ مقاصده ، كما لم يجد ذلك من قبل. بل أنّنا نقول بأن الأمر قد وصل إلى هذا الحدّ الرهيب ، الذي تُقَدَّم فيه العبادة للشيطان نفسه ، وذلك في البلدان المسيحيّة نفسها. إنّ «**القدّاس الأسوَد**» [١] يُمارس على المكشوف **في الولايات المتحدة ، وفي بريطانيا ، والمانيا الغربيّة** ، كما في أماكن أخرى من العالم.

نعم ... لقد دخلنا في عصر يمكن أن يُقال عنه بأنّ الشيطان وجنوده يحتفلون بيوم إنتصارهم وأسمى عصور إزدهارهم. لقد أصبحت معظم الدول المسيحيّة ، في كثير أو قليل تحت سلطانه. بل لقد نَجَحَ في أن يدفع جانباً كبيراً من الجنس البشري. ليشربوا من كأس الزانية العظيمة (رؤ١٧:٤)**الفائضة، بكل السحر ، والعفن الجنسي** .[٢] ومن الواضح أنّ بابل الزانية العظيمة بالإشتراك مع ضدّ المسيح (رؤيا ١٧:٣) هي التي تعمل على دفع البشريّة إلى الهلاك.

وإنّنا لنرى الشيطان ، في أزمنتنا الحاضرة ، يتّخذ سياسة جديدة تماماً ، لم يَسبق له أن سارَ فيها. فمنذ عصر النهضة الأوروبيّة نجح الشيطانَ إلى حدٍّ ما ، في نشر الأعتقاد الباطل بأنه لا وجود له، وحتى منتصف القرن السادس عشر كانت **الشيطانيّة أو مناجاة الشياطين والأرواح الشريرة ، والإستعانة بهم** ، فنوناً تُمارَس في الخفاء ، وما كان الكثيرون يُدركون شيئاً عن نشاط هذه الممارسات وفعاليّة الشيطان فيها ، حيث أنها تمارس سرّاً ، وكانت الجلسات السحريّة تُعقَد في الليل تحت جنح الظلام، والتمائم على سبيل المثال كانت تُلبَس خفية ، أما التعاويذ السحريّة فقد كانت تُعمَل في الخفاء ، والعديدون كانوا يُقاسون منها دون أن يعلموا أنّ سرّ عذابهم هو مهاجمات القوى الشيطانيّة ، وتحت ستار الخجل أو خوفاً من الإنتقام ظلّ كلّ شيء مختفياً، وحيثما

أستطيع كلّ شيء
بالمسيح
الذي يقوّيني ،
لذالك أعطانا
الربّ يسوع المسيح
سلطاناً لندوس
الحيّات والعقارب
وكلّ قوّة العدوّ

وجد أولئك الذين قيّدهم الشيطان لإرادته ، وأصبحوا عبيداً له ، وآلات طيّعة بين يديه. كان أولئك يمارسون نشاطهم الشرّير في الساعات الأخيرة من الليل ، في الأندية السريّة ؛ أما اليوم فقد أُزيحَ الستار عن كل شيء ، **وأصبح الشرّ يُطلّ بوجهه متبجحاً، سافراً ، دون حياء.**

لقد أصبح نسيج الرذيلة ، والشيطانيّة ، واضحاً مرئيّاً لكل عين. وهذا يُظهر لنا الحقيقة بأن فم بئر الهاوية التي لا قرار لها (رؤيا ٩:١) قد فُتح إلى حدٍّ ما ـ لقد دخلنا عصر نهاية الأزمنة ، التي تصبح فيها الأرض مسرحاً للمعركة النهائيّة ـ كما ورد في سفر الرؤيا ـ بين **الشيطان وجنوده** ، **والله وملائكته**، أما إلى أى مدى قد تبجّحت قوى الشرّ الشيطانيّة وأسفرت عن وجهها البشع الكئيب فهذا واضح من الحقائق التالية ...

فبكل حريّة ، أصبحت القوى الشيطانيّة ، تتاجر بالجنس وسط الجماعات ، وتنطلق الأصوات للجميع داعية إلى إطلاق العنان ، إلى أقصى درجات التحرّر للشهوات الجنسيّة وليست الشهوات السويّة فحسب ، بل الجنس الشاذ المقلوب غير الطبيعي ـ خمر الدنس والإنحلال كما يعبّر عنها سفر الرؤيا ، وزيادة على ذلك تفشّي تعاطي المخدّرات والأقراص المخدّرة بين الشباب بصورة لم يسبق لها مثيل ـ حتى الصغار يتعاطونها .!

إنّ الشرّ في أزمنتنا الحاضرة يرفع رؤوسه من جحور الخفاء في كل مكان ، فهو لا يكتفي بأفلام الجرائم الرهيبة وصور الجنس الشاذ التي تُعرَض في بعض دور السينما ، ولا العروض المسرحيّة العارية التي تقدّم لراغبيها على بعض المسارح ، ولكن الأبالسة تغذّي الناس الآن بأقبح صور الجنس ، والجرائم البشعة

١) **القداس الأسود** هو قداس للشيطان ، **على عكس كلّ كلمة تمارَس في الكنائس التقليديّة** حيثُ يُدَنّس الخبز والخمر بوضعهما على جسد إمرأة عارية وينتهي القدّاس بالزنى معها ..

٢) بحسب الكلمة في الأصل اليوناني المترجمة إلى سحر في (رؤيا ١٨:٢٣) فإن يمكن تفسيرها على أنّها جرعة طيّبة لها فعالية سامة سحريّة ـ وفي هذا إشارة إلى الجواهر المخدّرة ، والأقراص السّامة التي يُدمنها الشباب في أزمنتنا الحاضرة كما لم يحدث في أي زمنٍ مضى.

في قلب كلّ بيت حيث يتكىء أفراد العائلات صغاراً مع الكبار لمشاهدة التلفزيون ؛ والجنس أيضاً قد تغلّغل ليس في بعض المقالات العابرة ، أو الأدب الرخيص ، بل في مجلاّت لها أهميتها ، وفي كتب تصدر عن دور نشر معروفة.

وليست الحياة المتحللة من كلّ قيد ، المنحلة في أمور الجنس ، هي الشيء الوحيد الذي يقدّمه الشيطان وجنوده للشعوب ، ففي السوق يقدّمون بضاعة أخرى ، تحت ستار ما يسمونه بالفكر الثاقب الجديد وتحت شعار «**الشخصيّة المستقلة**» يقدّم الشيطان نظرية الإنسان المستقل عن اللّه ، الذي يختار مقاييسه وَمُثُله دون أدنى تقيّد بأي سلطان ، حتى سلطان اللّه ، وكنتيجة لهذا يستطيع أن يتحلل من «**نير الوصايا الإلهيّ**» لأنّه قد أصبح له الحقّ أن يقرّر ما هو خطأ ، وما هو صواب ؛ إنّه يستطيع أن يقوم بما يسرّه ، وما يُشبع ذاتيّته ، ويُبهج رغائبه.

صحيح أن مثل هذا الدافع كان موجوداً من قَبل في المجتمع ، ولكنه كان هناك في صُوَر فرديّة ، أو جماعات منعزلة ، أما الآن فقد إنحرف الإتجاه العالمي بصورة لم يسبق لها مثيل ، **إلى نبذ وصايا اللّه كأساس لا يتوافق مع روح العصر** ، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يرتكب الخطأ ، دون أدنى شعور بتوبيخ الضمير ، وما دام المجتمع يبارك هذه التصرفات ، والخطيّة يمكن أن تُمارَس بدون أدنى شعور بالخجل ، فلماذا السريّة ؟ ولماذا التكتّم ؟

ولكن هذا يعني أن الشيطان قد اقتنصنا لإرادته وأنّنا قد أصبحنا ننتمي للخطيّة ، وحينما نخطىء فإنّ الشيطان يصبح له الحقّ فينا ، ما لم نَتُب ونرجع عن خطيّتنا ، ونأتي بحياتنا الملوّثة ، عند صليب يسوع المسيح ، لننال التطهير.

نعود فنقول بأنّ الشياطين في أيامنا الحاضرة ، بقواتها الجبّارة الطاغية . وتأثيراتها الواسعة على الناس ، قد أصبحت ظاهرة لكل ذي عين سليمة ، كما أن نتائجها قد أصبحت أيضاً واضحة ...

وما تقدّمه للإنسان ليس سوى الإشباع لكل رغبة ، ولكن هل هناك الإكتفاء؟ حاشا. **هناك الفراغ ومذلّة النفس ، وهناك صغر الشخصيّة وتفاهتها وتجرّد الإنسان عن آدميّته ، مما يفسّر ظاهرة إرتفاع الجرائم ، وزيادة معدّل حالات الإنتحار ، وانتشار القلق العصبي** ؛ إنّ أولئك الذين أسلموا **مقْوَد** الحياة للشيطان ، وعلى الأخص بين الشباب ، يظهر في حياتَهم إنتكاس المُثُل ، والدوافع ، مما يجعلهم عاجزين عن مجابهة الحياة ومشكلاتها ، وإحدى النتائج المترتبة على هذه هي **الكبت** ، الذي يفضي بدوره إلى الحالات النفسيّة المَرَضيّة حتى بين الأطفال ؛ إنّ الذي يقبل الأنطواء تحت سلطة الشيطان ، ويخضع لإغراءاته ، ينتهي إلى الفراغ والمخاوف ، بل إلى اليأس القاتل ، وهذا ما يتميّز به شباب العصر الحاضر مما يدفعهم إلى الهروب في دوائر المخدر والأقراص السامة ، وكلما إزدادوا هروباً من عالم الواقع على هذا النحو ، زادت هوّة اليأس في حياتهم ...

وهذه الظاهرة المأساويّة يمكن أن نلمسها في حياة الكثيرين

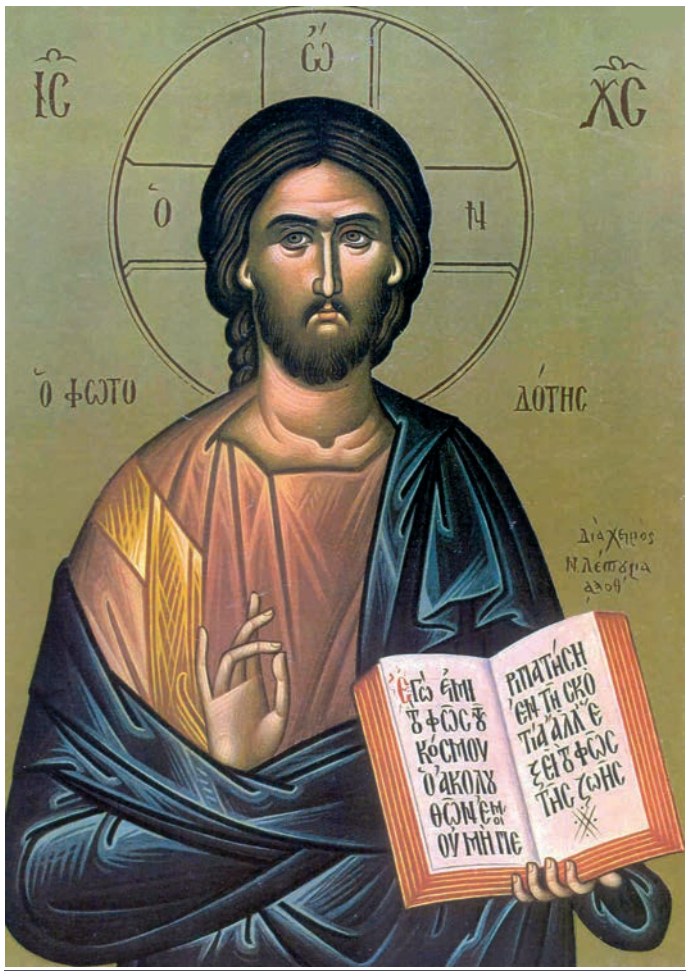

«فلا تشاكلوا هذا الدهر. بل تَغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة اللّه الصالحة المَرضيّة الكاملة»
(رومية ١٢:٢)

ممن أطلقوا العنان لشهواتهم وأصبحوا يتمرّغون في الحمأة ، فحياتهم لا تتميّز فقط بالتعاسة بل أنّهم ينقلبون إلى الثورة والوحشيّة ؛ وفي نفس الوقت تقيّدهم هذه العادات فيصبحون متواكلين عاجزين عن أن يكون لهم كيانهم المستقل ، ينساقون وراء كل حركة دون أن تكون لهم المقدرة على تمييز الأفكار والآراء. بهذا يصبحون قابلين للتشكيل بأي شيء يؤثّر على عقولهم ، وما أكثر الوسائل المنوّعة التي يتخذها الشيطان أداة للتأثير في النفوس والعقول ، ويكفي أن نتطلّع في ظلمة الليل ونحن نمرّ بالبيوت بنوافذها المفتوحة حيث تشع منها أضواء التليفزيون المتراقصة وما **تقدّمه من برامج جهنميّة**.

لقد وصل الشيطان عدو السعادة الإنسانيّة إلى أهدافه في أزمنتنا الحاضرة ، والشعوب تتهافت على **كأسه السّامة** ... **من الجنس والمخدرات** ، التي تثمر ثمارها : **المرض والموت وفي النهاية الهلاك الأبديّ** ، لقد نجح الشيطان في تحطيم أجساد البشر بل إنّه قد نجح أيضاً في تحطيم نفوس البشر ؛ أليسَ الإندفاع في الجنس القبيح يبلّد الأحاسيس بل يميتها؟ وحينما لا يكون هناك غذاء سليم ، تنتهي النفس إلى الخواء والتعاسة واليأس والشقاء؟.

يتبع في الدد القادم

مدخل إلى كتاب المزامير ٣

لأبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

تتمة من العدد السابق

+ المزامير مرآة النفس:

إذا كان ترتيب المزامير على هذا النحو، فمن المستطاع للمطّلعين عليها أن يجد كلّ منهم فيها صورة لحركات نفسه وحاله وكُلَّ شيء في مكانه لتعليمه. كما ويلقى فيها ما يمكنه أن يَقوله ليَرضي اللّه وبأية أقوال يقدر أن يصلح نفسه ويشكر الربّ، خاصة وأنه يتوجب علينا أنْ نعطي جواباً للديّان لا عن الأفعال فقط بل عن كلّ كلمة بَطالة أيضاً.

فإن شئْتَ أن تطوّب أحداً يدلُّكَ كتاب المزامير على كيفية التطويب وأي مزمور يكون مناسباً لذلك، هنا عندك المزمور: الأول، والواحد والثلاثون، وألأربعون، والواحد وألأربعون، والمائة والثامن عشر، والمائة والسابع والعشرون.

وإن شئت ثَلْبَ اليهود لاغتيالهم المسيح فلك أن تقول التسْبحَة الثانية. وإن كنت مطروداً منهم وكَثُرَ محاربوك فإقرأ المزمور الثالث. وإن إستغثت بالربّ واستجاب لك وأردت أن تشكُرهُ فرتّل المزمور الرابع، والمائة والرابع عَشَرَ. وإن نظرت أشراراً راموا أن يكمنوا لك فصلِّ صباحاً المزمور الخامس. وإن أحسست بتهديد الربَّ ورأيت ذاتك مضطرباً فاقرأ المزمور السادس، والسابع والثلاثين. وإن تآمر عليك أُناسٌ كما تآمرَ أشيطوفال على داود وأخبرك أحدٌ بذلك فرتّل المزمور السابع وثق باللّه في شأن خلاصك.

ومتى رأيت نعمةَ المخلّص شاملة كلَّ صقع وَرُمْتَ تحية ربك فدونك المزمور الخمسين، والثمانين. وإن شئت أن ترتل تسبحة العصر لتشكر الرب فعليك بالمزمور الخمسين نفسه. ولا تحسبنَّ ذاتك قادراً على تعطيل العدوّ وتخليص الخليقة، فإن علمت بأن هذه من مناقب إبن اللّه فقل المزمور التاسع. وإن سعى أحدٌ إلى إقلاقكَ فاتكل على الرب ورتِّلْ المزمور العاشر. ومتى عانيت إستكبار كثيرين من الناس وإفراط شرّهم وعدم البرِّ فيهم فالتجئ إلى الربّ وقُل المزمور الحادي عَشَرَ. وإن تمادَى أعداؤك في مكرهم فلا تيأس ولا تظن أنك منسيٌّ عند الربّ بل تضرّع اليه ورتّل المزمور السادس والعشرين. وعندما تسمع أُناساً يجدّفون على اللّه بشأن رعايته وعنايته فلا تشاركهم في كفرهم بل إتجّه إلى ربّك وأقرأ المزمور الثالث عَشَرَ، والثاني والخمسين. ولو رغبت أن تعرف من هو المستعد للكوت السماوات، فاقرأ المزمور الرابع عَشَرَ.

وإن إحتجْتَ إلى الصلاة دفعاً لمقاومتك ومحاصري نفسك فسبّح بالمزمور السادس عَشَرَ، والثامن والثمانين، والمائة وألأربعين. وإن شئت أن تعلَم كيف صلّى موسى فعليك بالمزمور التاسع والثمانين. وان خَلُصْتَ من أعدائك ونجوت من مضطهديك فرتّل المزمور السابع عَشَرَ. ومتى أذهلك نظام الخليقة ونعمة عناية اللّه فرتّل المزمور الثامن عَشَرَ، والثالث والعشرين. أما إذا رأيت أُناساً منحصرين متضايقين فادعُ لهم مردداً أقوال المزمور التاسع عشر. ومتى رأيت ذاتك والرب يرعاك وأنت تسلك حسناً فرتّل المزمور الثاني والعشرين.

القديس أثناسيوس الكبير

وإن نَهَضَ الأعداء عليك فارفع نفسك إلى اللّه وأقرأ المزمور الرابع والعشرين، فتراهم يأثمون عبثاً. وإن ألحَّ أعداؤك وكانت أيديهم مفعمة دَماً وراموا إهلاكك فلا تسلّم الحكم للناس، لأن أمور البشر مريبة، بل إلتمس قَضاءَ اللّه الذي هو وحده الديان، واتْلُ المزمور الخامس والعشرين، والرابع والثلاثين، والثاني وألأربعين.

وإن أشتدت صَوْلَتُهم عليك وازدروا بك فلا تفزع بل رتّل المزمور السادس والعشرين. وبما أنَّ الطبيعةَ البشريّة ضعيفة، فإن كان أعداؤك وقحين فلا تلته بهم، بل إضرع إلى اللّه قائلاً ما في المزمور السابع والعشرين. وإن شئت أن تشكر بالذهن فرتّل المزمور الثامن والعشرين. ولو رغبت في تجديد بيت ذاتك ونفسك القابلة للربّ وكذلك بيتك الحسّي الذي تسكن فيه بالجَسَد فاقرأ المزمور التاسع والعشرين، والمائة والسادس والعشرين الذي هو من مزامير الدرجات. ومتى رأيت ذاتك مضطَهَداً من جميع الأقارب والأصحاب لتمسك بالحقِّ فلا تَخُرْ ولا تفزع من بغض معارفك بل كن للمستقبَلات متأملاً ورتّل المزمور الخمسين.

وحين تبصر المصطبغين القادمين من السيرة الفاسدة، وتعجب من وداد اللّه ومحبّته للبشر فرنم لهم المزمور الحادي والثلاثين. وإن أردت أن تصلّي وجماعة الرجال العادلين المستقيمين فرتّل المزمور الثاني والثلاثين. ولو رغبت في الشكران إثر وقوعك بين أعدائك وخلاصك منهم بالحكمة ونجاتك، فادعُ الودعاء ورتّل في حضرتهم المزمور الثالث والثلاثين. وإن رأيت مماحكة المنافقين ومناضلتهم في الشرّ، فاقرأ المزمور الخامس والثلاثين فتبصر أنهم كانوا هم أنفسهم سبباً لخطاياهم.

وإن نظرت مخالفي الشريعة يتشامخون على الوضعاء وأردت أن تنصح بعضاً من الناس أن لا يصغي إليهم ولا يغايرهم لكونهم يخمدون سريعاً فاقرأ لذاتك ولأصحابك المزمور السادس والثلاثين. وأيضاً إن شئت أن تحترس من العدو المتسلّط وأردت تحريك نفسك عليه فرتّل المزمور الثامن والثلاثين. وإن صبرت على الضيق لدى تكاثر الأعداء وأردت أن تعرف النفع الصائر من الصبر، فرتّل المزمور التاسع والثلاثين. وإن رأيت جماعة من الفقرآء والمساكين وأردت أن تصنع لهم رحمةً فاقرأ المزمور الأربعين. وإن إزددت شوقاً إلى اللّه وسمعت الأعداء يثلبونك فلا تضطرب بل تيقن من الثمر الباقي الحاصل من شوقك هذا وعَزِّ نفسَكَ برجائك باللّه مخففاً عنك بقراءة المزمور الحادي والاربعين. وفيما تريد أن تتذكّر على التوالي إحسان اللّه الصائر إلى آبائنا، وأمر خروجهم من مصر وترددهم في البرّية، وصلاح اللّه وأن الإنسان عديم الشكرَ فاقرأ المزمور الثالث وألأربعين، والسابع والسبعين، والثامن والثمانين، والمائة والأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والثالث عَشَرَ. وإن إلتجأت إلى اللّه ونجوت من الأحزان الصائرة عليك وشئت أن تشكر اللّه فلك أن تقرأ المزمور الخامس وألأربعين.

وإن أخطأت وندمت بتوبة وقبلت التوبيخ، فلك أن تقرأ أقوال الإعتراف والتوبة الموجودة في المزمور الخمسين. وإن وَشيَ بك وتفاخر عليك النمّام فامضِ في سبيلك وقل المزمور الحادي والخمسين. وإن طردك الغرباء وأرادوا تسليمك فلا تتهاون بل ثق بربّك مسبّحاً واقرأ ما في المزمورين الثالث، والخامس والخمسين. ولو تواريت في مغارة هرباً من إضطهاد فلا تشكّ ولا تخشى، لأن لك الأقوال المناسبة، الّتي تُسليك في الضّيق، من المزمور السادس والخمسين، والحادي وألأربعين. وإن رامَ عدوّك ضَرْبَ حصار عليك وهربْتَ منهُ فاستودع اللّه النعمة واكتب أحرفها في نفسكَ وارفعها نُصباً لتكون تذكاراً مستمراً ، واقرأ ما في المزمور الثامن والخمسين. وإن كان الاعداءُ يحزنونك ويتظاهرون بمحبتك فيما يتآمرون عليك فبإمكانك أن تعزّي نفسك من الغم إنْ سبحت ربّك بقراءة المزمور الرابع والخمسين. وإن شئت تخجيل المرائين المغيّرين وجوههم فاقرأ المزمور السابع والخمسين.

أما الذين يهجمون عليك طالبين نفسك فقابلهم بالخضوع لربّك واثقاً به واقرأ ما في المزمور الحادي والستين. وإن كنت مطروداً وفررت إلى مغارة فلا تفزع من الوحدة بل كمصاحب اللّه هناك إبتكر إليه، ورتّل المزمور الثاني والستين. واذ يهدّدك الأعداء ويترصدونك ويبالغون في الاستقصاء عليك فلا تجبُن منهم ولو كانوا جمهوراً لأنَّ رشقهم كنبل الأطفال يكون عند ترتيلك المزمور الثالث والستين، والسابع والستين، والتاسع والستين، والسبعين. وإذ رغبت في أن تسبّح اللّه، فرتّل المزمور الرابع والستين. وإن شئت أن تعظ أُناساً في أمر القيامة فرتّل ما في المزمور التاسع والستين. ولو وعظتهم من قَبل الرب مذيعاً رآفاته عليهم فسبحّهُ مرتلاً المزمور السادس والستّين. وحين ترى الكُفّار متنعمين ولهم سلامة، لا تشك ولا تتزعزع بل إقرأ ما في المزمور الثاني والسبعين. وإن سخط اللّه على الشعب، فلك ما يعزّيك في المزمور الثالث والسبعين. وإن احتجت إلى الاعتراف، فرتّل المزمور الرابع والسبعين، والحادي والتسعين، والمائة وألأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والسبعة، والمائة والخامس والثلاثين، والمائة والسابع والثلاثين.

وإن عيّرك اليونانيين والهراطقة بشأن معتقداتك التي يجهلونها وهي الكنيسة وحسب ، فإنك قادر أن تفهم ذلك لو قرأت ورنّمت ما في المزمور الخامس والسبعين. وإن حصرك أعداؤك فلا تيأس ولو اضطربتَ بل أقم مصلّياً، فإن استجاب اللّه دُعاك فاشكره وفْقَ المزمور السادس والسبعين. وإن نَجَّس الأعداء بيت الرب وقتلوا القديسين وطرحوا أجسادهم لطيور السماء، فئلا تتراخى وتفزع منهم، وَجِّه طرْفك صوب ربّك وقل المزمور الثامن السبعين. وإن شئت في عيد أن تسبّح فاجمع عبيد اللّه ورتّل المزمور السادس والثمانون، والرابع والتسعين. وإن تقاطر الأعداء من كل جهة على بيت اللّه وراموا الإضرار بالإيمان القويم فلا تخشهم ولتكُن لك رجاء كلمات المزمور الثاني والثمانين. وإن رأيت ربك ومساكنه الابديّة وكان لك إشتياق اليها كما كان للرسول فاقرأ المزمور الثالث والثمانين. ومتى كفَّ عنك السخط وأردت أن تشكر فلك أن تقرأ المزمور الرابع الثمانين، والمائة والخامس والعشرين. وإن شئت أن تبرز الفَرْقَ بيت الكنيسة الجامعة والمنشقّين فقل لهم ما هو محرَّرٌ في المزمور السادس والثمانين.

ولو أردت أن تدعو إلى عبادة اللّه وتُثبتَ أنَّ المتّكل عليه لا يحزن ولا يخاف فلك أن تسبِّح على نحوِ ما جاء في المزمور السادس. وإن شئت أن تصلّي في السبت فلك المزمور الحادي والتسعين. وإن شئت أن تشكر يوم الأحد فلك المزمور الثالث والعشرين. ولو أردت أن تصلّي في الثاني من السبوت فاقراء ما في المزمور الرابع وألأربعين. وإن شئت أن تسبِّح في يوم الجمعة فلك المزمور الثاني والتسعين لأنه قد وضع لما ابتُني البيت، مع أن الأعداء حاولوا محاصرته، لذلك سبّح المؤمنون اللّه تسبحة الظفر. وإن وقع سَبْيٌ واندَكَّ الهيكل وابتُني ثانيةً فرتّل المزمور الخامس والسبعين. وإن سَكَنت الأرض من المحاربين وشئت أن تسبّح اللّه فلك المزمور السادس والتسعون. وإن شئت أن ترتل في الرابع من الاسبوع فلك المزمور الثالث والتسعون لأن الرب في ذلك الوقت لما رُفع ابتدأ ينتقم من غلبة الموت ويشهرها جهاراً. وإن قرأت الانجيل ورأيت أنَّ اليهود ضربوا مشورةً على الربّ في اليوم الرابع من الاسبوع الذي هو بدءُ مجاهرة العدو، فعند ذلك رتّل المزمور الثالث والتسعين.

ومتى رأيت عناية الرب بالكلَ وربوبيّته وأردت أن تَحُثَّ أُناساً على الايمان والطاعة لتقنعهم فرتّل المزمور التاسع والتسعين. وإن عرفت قدرة حكومة العليّ وعلمت أنَّ اللّه سبحانهُ يمزج الحكم بالرحمة وشئت أت تتقدم إليه فلك الأقوال الواردة في المزمور المائة. وبما أن طبيعتنا ضعيفة فإن إفتقرتَ بسبب ضيقات العمر وأردت أن تتعزّى فلك المزمور المائة والواحد. وحيث أنّهُ واجبٌ علينا أن نشكر اللّه على كل شيء وفي كل شيء فكلما أردت أن

تبارك، فردِّد المزمور المائة والاثنين، والمائة والثلاثة. وإن شئت أن تسبح اللّه وتعرف بأيِّ حال وعلى أيِّ شيء ينبغي التسبيح وماذا يجب أن يقول المسبِّح فلك المزمور المائة والاثنان، والمائة والستة، والمائة والرابع والثلاثون، والمائة والخامس وألأربعون، والمائة والسادس وألأربعون، والمائة والسابع وألأربعون، والمائة والثامن وألأربعون، والمائة والخمسون. وإن كان لك إيمانٌ، كما قالَ الربُّ وتركن إليه فيما تقول مصلّياً فاتْلُ المزمور المائة والخامس عَشَرَ.

وإن شعرت بذاتك أنَّك تتقدم بألأعمال الصالحة، فعلى قدر ما تقول «أنسى ما وراء وأمتدُ إلى أمام»، فلك على كُلّ نجاح أن تقرأ تسابيح الدرجات الخمس عَشَرَة (من مزمور١١٩ـ مزمور ١٣٣). وإن سَبَتْكَ الأفكار الغريبة وشَغَلَتْكَ بذاتك وقيّدتك فكُفَّ عن الأشياء التي أدركت ذاتك مخطئاً بها، وابك عن الخطيئة التي وقعْتَ فيها نظير الشعب في ذلك الزمان، وقُل ما في المزمور المائة والسادس والثلاثين. وإن احتسبت المحن تجربةً لك وشئت بعد ذلك أن تشكر فلك المزمور المائة والثامن والثلاثون. وإن كنت محاصَراً من الأعداء وأردت الخلاص فقل ما في المزمور المائة والتاسع والثلاثين. وإن أردت أن تصلّي وتتضرّع فرتّل المزمور المائة وألأربعين، والمائة والثاني وألأربعين، والمائة والخامس وألأربعين. وإن تسلّط عليك وعلى الشعب عدوّ جبّار مثلما تسلط جليات على داود فلا تخشَ بل ثق أيضاً، نظير داود، واتلُ المزمور المائة والثالث وألأربعين. وإن عَجبت لإحسان اللّه وذكرت جودَهُ فقل الكلمات التي قالها داود في المزمور المائة وألأربعة.

وإن شئت أن تسبّح الربّ فلك المزمور الخامس والتسعون، والسابع والتسعون. وإن كنتَ صغيراً وانتُدبْتَ لقضاء حاجة إخوتك فلا تتشامخ عليهم، بل أعط مجداً للربّ الذي انتخبك ورتّل المزمور الذي بعد المائة والخمسين الخاص بداود. وإن أردت ترتيل مزامير هلِّل فلَكَ المزمور المائة وألأربعة، والمائة والخمسة، والمائة والستة، والمائة والعشرة، والمائة والحادي عَشَرَ، والمائة والسابع عَشَرَ، والمائة والثامن عَشَرَ، والمائة والرابع والثلاثون، والماية والخامس وألأربعون، والماية والسادس وألأربعون، والمائة والسابع وألأربعون، والمائة والثامن وألأربعون، والمائة والتاسع وألأربعون، والمائة والخمسون.

وان أردت أن ترتّل ما هو في أمر المخلّص وحده فإنك تجد ذلك في كل مزمور وعلى الخصوص في المزمورين الرابع وألأربعين، والمائة والتسعة اللذين يخبران باتّلاده الخاص من الآب وحضوره بالجسد. وأما المزموران الحادي وألعشرون، والثامن والستون فينبآن بصلبه الإلهي والتسليم الذي احتمله من أجلنا والآلام التي كابدها. أمّا المزموران الثاني، والثامن فيشيران إلى خيانة اليهود وشرّهم ووشاية يهوذا الاسخريوطي. وأما المزامير العشرون، والتاسع وألأربعون، والحادي والسبعون، فيخبرون بملكه وبقوة قضائه وبإعادة حضوره إلينا بالجَسَد. والمزمور الخامسَ عَشَرَ يرينا قيامةَ جسده. والمزموران الثالث والعشرون، والسادس وألأربعون يخبّرانَ بصعوده إلى السماوات. وأما المزامير الثاني والتسعون، والخامس والتسعون، والسابع والتسعون، والثامن والتسعون متى تلوناها علمنا بجود المخلّص الصائر إلينا من آلامه.

+ لماذا ترتّل المزامير بألحان وترنّم؟

هذا أيضاً أمر يحتاج إلى توضيح، لأنه يوجد قوم يرتجلون القول ولو كانوا متيقنين من أن المزامير مُلهَجٌ بها من اللّه، لكنّهم يتوهّمون أنَّها تؤدّي ملحنَّة لغاية حُسن النغمة. ■ **إنتهى**

الغبار

الغبار : هي الذرات الصغيرة والدقيقة جداً من بقايا الأوساخ والتراب ، التي يتناقلها الهواء. وتَعْلَق بالأرجل والأجسام الصلبة. وفيما يلي ثلاثة معانٍ جامعة للغبار في الكتاب المقدّس:

١) نفض الغبار عن الأرجُل والأحذية لا للنظافة بل كعلامة لترك كلّ شيء قد يعلق بالإنسان بعد أن يترك مكاناً ما إلى مكان آخر ، سواء أكان المكان بيتاً أم بلدة أم بلاداً . فكان اليهوديّ ينفض غبار حذائه بعد أن يغادر بلداً وثنيّاً حتى يتخلّص من باقي آثار الوثنيّة. وهذا ما فعله بولس وبرنابا بعد أن غادَرا أنطاكية بيسيذية إلى إيقونيّة (أع١٣:٥١). بل المسيح نفسه دعا تلاميذه إلى الخروج من أي بيت أو مدينة ترفضهم ونَفض غبار أرجلهم من ورائهم (مت١٠:١٤ ، مر٦:١١) . ولا تزال هذه العادة تحمل المظهر نفسه في بلاد الشرق إلى اليوم. ويفعل ذلك مَن يخرج من بيتٍ ما فاشلاً في تحقيق مشروع له.

٢) تذرية الغبار (والتراب) في الهواء ، كمظهر للغضب والثورة والتهديد ، وهو ما يحصل ، عفواً ، بمجرّد تجمّع عدد من الثائرين أو المتوعّدين. إذ أن الغبار يرتفع في الهواء. إذا كان التجمّع والصخب في أرض خلاء. وقد ذرّى الغبار في الجوّ لما تجمّع اليهود حولَ بولس في أورشليم، وسلّموه إلى المعسكر (أع٢٢:٢٣) وذرّاه شمعي ، وهو يسير مقابل داود ويشتمه (٢ صم١٦:١٣).

٣) الغبار الذي تحمله الزوابع ويبدو كأنّه ينزل من السماء كالمطر. وهو أمرٌ شائع في المناطق الصحراويّة أو القريبة من الصحاري. ولذلك هدّد موسى العبرانيين ، في خروجهم من مصر إلى فلسطين بأنّ اللّه يجعل المطر غباراً وتراباً ينزل عليهم من السماء. إن هم لم يسمعوا صوت الربّ إلههم ولم يعملوا بوصاياه وفرائضه (تث٢٨:٢٤).

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء الصخرة (٧)

«ثمّ ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من بريّة سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رفيديم. ولم يكن ماءٌ ليشرب الشعب * فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني. لماذا تجرّبون الربّ. * وعَطِشَ هناك الشعب إلى الماء. وتذمّر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. * فصرخ موسى إلى الربّ قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب. بعد قليل يرجمونني. * فقال الرب لموسى مُرّ قدّام الشعب وخُذ معَك من شيوخ إسرائيل . وعصاكَ التي ضربتَ بها النهر خُذها في يدك واذهب. * ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماءٌ ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. * ودعا إسم الموضع مسَّه ومَريبه من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا» (خروج١٧:١-٧).

الصخرة دوماً تشبه المسيح:

بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول:

«فإنّي لستُ أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وفي البحر ، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنّهم كانوا يشربون من صخرة روحيّة تابعتهم والصخرة كانت المسيح» (١كو١٠:١-٤).

ولكن العذراء مريم تحمل وجه الشبه في الصخرة:

١ ـ الصخرة صمّاء لا ماء فيها ولا حياة ، ولكنها أخرجت ماءاً أروى العطاش .. هكذا العذراء أيضاً .. فهي بنت .. وبكر .. وعذراء .. وأنجبت لنا ماء الحياة. وقد قال السيّد المسيح عن نفسه: « من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو٦:٣٥) . «من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ» (يو٧:٣٧). وفي حديثه مع المرأة السامريّة قال: «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديّة» (يو٤:١٤).

٢ ـ الوجه الثاني من الشبه: كما أن الماء خرج من الصخرة ولم تنكسر ولم تتصدّع .. هكذا المسيح خرج من رحم السيّدة العذراء ولم ينفكّ ختم بكوريتها ، بل بقيت على عذراويتها. وهذا ما أثبتته نبوّات الأنبياء.

فأشعياء النبيّ يقول:

«ها إنّ العذراء تحبل إبناً وتدعوا إسمه عمانوئيل» (أش٧:١٤).

وفي إنجيل القديس متى ورد:

«وهذا كلّه كان لكي يتم ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون إسمه عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا» (متى ١:٢٢-٢٣).

فالمنظر الرؤى هنا يسجّل عن العذراء مريم إنها في:

حالة عذراوية ، وحالة حمل ، وحالة ولادة غير منفصلين ، فدوام البتوليّة مرتبط إرتباطاً كليّاً بنوع المولود.

فدوام البتوليّة جزء لا يتجزأ من حقيقة التجسد. لذلك تكتب العذراء مريم في الأيقونات مع إبنها وخالقها الربّ يسوع المسيح. فلا مجال للإنفصال ما بين المسيح وأمّه الكليّة القداسة لما فيه من رابط لاهوتي عميق يوحّد ويثبّت هذا الإتحاد فيما بينهما.

حكم وأمثال

لا قصاص أشدّ من توبيخ الضمير

كلّما عجبت بنفسك هزأ الناس بك

العفّة أحسن واق من أوبئة الرذائل

عيد القديسين بطرس وبولس

عظة للقدّيس غريغوريوس بالاماس

رئيس أساقفة تسالونيكي

* ذكر الصدّيقين:

١ ـ ذكر القدّيس في عيده فرصة مشتركة للجميع من أجل الإبتهاج ، وَدَاعٍ للفائدة للمحتفلين به. لأنّ «ذكر الصدّيق يكون بالمديح» كما يقول الحكيم سليمان. (الأمثال ١٠:٧).

«وإذا مُدحَ الصدّيق تُسَرّ الشعوب» لأنّه كما أنّه في الليل عندما نُشعل المصباح يضيء النّور من أجل فائدة الحاضرين وتمتّعهم، هكذا فإنّ حياة كلّ قدّيس مرضيّة للّه ونهايته المغبوطة والنعمة التي منحها إيّاه اللّه بسبب نقاوة عيشه تبرز في الوسط مثل نار شاعلة عن طريق الذكرى ، وتقدّم للمجتمعين الإبتهاجَ الروحيّ والفائدة.

وكذلك عندما تخصب الأرض ، لا يبتهج الفلاّحون فقط بل وأيضاً البشر كلّهم (لأنّ التمتّع بثمار الأرض يعود بالفائدة للجميع). هكذا فإنّ أثمار القدّيسين من أجل اللّه عن طريق الفضيلة لا يُبهج فقط فلاّح النفوس بل وأيضاً جميعنا ما دامت الثمار تظهر من أجل فرح نفوسنا وتمتّعها بالبهجة.

ومن جهة ثانية فإنّ القدّيسين ، وهم بعد حاضرون في الحياة الحاضرة ، يحثّون الكلّ على الفضيلة ، كل الذين يسمعونهم ويشاهدونهم بفطنة لأنّهم أيقونات حيّة للفضيلة ، أركان تجلب كل خير ، كُتب ناطقة حيّة تتكلّم بكلّ ما يلزم من أجل الإرشاد إلى ما هو فوق .

وعندما ينتقلون من هذه الحياة ، عن طريق ذكرهم ، يحفظون لنا فائدتهم بلا زوال. إنّ ذكرَ أعمالهم الصالحة هو مديح لهم وواجبٌ علينا من أجل تواصل الفائدة وهو الآن في العيد الحاضر مفيدٌ لنا على كلّ حال.

٢ ـ عندما نتذكّر أعمالهم لا نضيف شيئاً على خيراتهم. وكيف نستطيع ذلك ما دمنا لا نستطيع حتى أن نستعرض فضيلتهم كلها؟ ... عندما نمتدحهم لا نزيد شيئاً على خصالهم بل نزيد الكثير من الخيرات العائدة إلينا من قِبَلهم عندما نرفع أنفسنا إليهم مثل مصابيحَ مضاءة من اللّه وعندما نُدرك بازدياد القدرة الخلاّقة الصادرة عنهم ونتقبّلها.(الخلاقة : صانعة الخير والجمال Kallopios)

٣ ـ إذا كان ذكر أيّ قدّيس يتمّ للأسباب المذكورة بالترانيم والمدائح الواجبة ، فكم بالأحرى علينا أن نتمّم ذكرى **القدّيسَين الرّسولَين بطرس وبولس رأس جوق الرّسل؟** إنّهما أبَوان مشتركان لكلّ مَن يحمل إسم المسيح ، للرّسل ، للشهداء ، للأبرار ، للكهنة ، للرعاة والمعلّمين ، للرعيّة والموعوظين كونهما رئيسيّ الرعاة ، رئيسيّ ومُشَيّديّ التقوى والفضيلة العامة ، نورَيّ العالم ينشران كلمة الحياة (فيليبي ٢:١٦). يفوقان إشراقاً على كلّ الذين لمعوا في التقوى والفضيلة ، كما تفوق الشمس على الكواكب الأخرى وكما تفوق السماء على السموات محدّقين بمجد اللّه العلويّ. يتخطّيان عظمة السماوات وجمال الكواكب وسرعتهما إلى حدّ أنّهما يُظهران ما يفوق المحسوس ، على كلّ ما في العالم وما في السماء. ينيرانها كلّها بأشعّة النور «ليس عندهم تغيير ولا ظلّ دوران» (يعقوب ١:١٧).

لا يُخرجان فقط من الظلمة النّور العجيب ، بل وفي عطائهما يجعلان الآخرين أنواراً ، مصدراً للنور حتى إنّ كلّ واحد من هؤلاء في المجيء الثاني وظهورالنور الأوّلي الكلمة الإله الإنسان سوف يُشرق كالشمس.

٤ ـ لقد ظهر لنا مثل هؤلاء الأنوار في هذا اليوم. الأوّل مع الثاني يبهجان الكنيسة. لأن اللقاء معهما لا يسبّب أي إنكساف بل مزيداً من النور. ومعهما لا يجلس الأوّل فوق بطريقة يعلو على الآخر ويظلّله ، ولا يرأس الأوّل في النهار والثاني في الليل لكي يكون هذا الأخير في الظلّ ، لا يُشرق الأوّل نوراً والثاني يأخذ منه حتى إنّ شعاعه يضعف مع المسافة. يشترك الإثنان **في المسيح الواحد المصدر الذي لا ينفذ ، النور الأزلي** ويتساويان في العلوّ والمجد واللمعان. **لذلك اللقاء بينهما هو وحدة مشتركة تُفيض إشراقاً مُضاعفاً لنفوس المؤمنين.**

* تجربة بطرس: سقوطه وتوبته

٥ ـ لكن الجاحد الأوّل الذي دفع الإنسان الأوّل إلى عصيان وصيّة اللّه ، رأى اللّه جابل آدم الذي هو أي الجنس البشري،رآه يجعل بعد ذلك بطرس أباً جديداً للمؤمنين باللّه بل وأكثر من ذلك

سمعه يقول لبطرس: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (متى١٦:١٨). بعد أن علم الشيطان رئيس الشرور كل ذلك ، أخذ بدافع شرّه الفاسد يجرّب بطرس رئيس جنس المؤمنين كما فعل سابقاً بآدم رئيس جنس البشر. وكان يعلم أيضاً أنّ بطرس يتزيّن بالحكمة ويشتعل بمحبّته للمسيح ، لذلك لم يتجرأ على محاربته شخصيّاً بل حاول أن يضلّه بخدعة من **(جهة اليمين)** بإقناعه أن يعمل أكثر ممّا كان يُطلَب منه.

في أوان الآلام الخلاصيّة ، عندما قال الربّ لتلاميذه «كلّكم تشكّون فيّ» (متى٢٦:٣١). عارَضَ بطرس بدافع عدم قناعته. لا هذا فقط بل رتَّب نفسه فوق الآخرين قائلاً:

«وإن شكّ فيك الجميع فأنا لا أشكّ أبداً» (متى ٢٦:٣٣). يتخلّى عنه الآخرون لأنّه تعالى عليهم لكنّه تواضع بعد ذلك أكثر من الآخرين حتى يظهر في ما بعد أشدّ بهاءً لا كما فعل آدم الذي غُلِبَ من الشيطان وتراجع كلّياً. ماذا حصل إذاً مع بطرس؟

بعد سقوطه أخذ يلوم نفسه ويحزن ويتوب ويستخدم الدموع سبيلاً ودواءً للغفران «القلب النقيّ المنسحق ، الخاشع المتواضع لا يرذله اللّه» (مز ٥٠:١٢). والحزن بحسب اللّه يجلب توبة من أجل الخلاص. «والذين يزرعون بالدموع يحصدون الغفران بالسرور» (مز١٢٥:٥).

* وعد الرب لبطرس:

٦ ـ لقد داوى بطرس خطأه عن طريق التوبة والنوح ولم يكتف بذلك بل إقتلع الهوى من جذوره هذا الهوى الذي أبعده عن إخَوته.

وقد أراد الربّ أن يبيّن ذلك من أجلنا بعد قيامته ولذلك إستخدم هذه الكلمات الموّجهة لبطرس قائلاً له:«سمعان بن يونا أتحبّني أكثر من هؤلاء؟» (يو٢١:١٥). **أي أكثر من التلاميذ** ... فأجابه بطرس:

«نعم يا رب أنت تعلم أني أحبّك» ولم يضف على جوابه كلمة «**أكثر**».

٧ ـ ماذا فعل الربّ؟ بعد أن بيّن أنّ بطرس لم يزل يُحبّه دون أن يتخلّى عن تواضعه يتمّم له وعده السابق بقوله:

«إرعَ خرافي» (يوحنا ٢١:١٥).

في الواقع يُشير إلى الكنيسة جماعة المؤمنين كبناء مؤسّس على الصخرة وهي **لاهوت بطرس**. يعده بأنّه سوف يكون هذا اللاهوت أساسَ البناء.

«أنتَ بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (متى١٦ :١٨).

وعندما كان الكلام يدور حول الصيد جعله صيّاداً للناس (لوقا٥:١٠). وعندما يسمّي تلاميذه خرافاً يجعل من بطرس راعياً للخراف قائلاً له: «إرعَ خرافي».

من كل ذلك يمكننا أيّها الأخوة أن نفهم أنّ الربّ يرغب في خلاصنا كما يطلب من أحبّائه أن يُرشدنا إلى المرعى والحظيرة الخلاصيّة.

القديس غريغوريوس بالاماس

٨ ـ أتحبّني ثلاث مرّات ؟

لنفتّش نحن أيضاً عن خلاصنا ولنسمع لهما لأنهما بالقول والفعل يرشداننا إلى مناهج الخلاص . . .

يسأل الربّ ثلاث مرّات ويجيب بطرس ثلاثاً حتى يصل إلى شفاء إنكاره المثلّث.

والربّ يعيّن بطرس رأساً لخرافه ثلاث مرّات مستعرضاً هكذا أمامه مراتب المخلّصين الثلاث: العبيد ، الأجراء والبنين ، والفضائل الثلاث: البتوليّة ، الترمّل العفيف والزواج المكرّم.

ويسأل الربّ بطرس مرّة تلو المرّة إن كان يحبّه وبطرس يحزن لمثل هذه الأسئلة المتكرّرة ظاناً أنّ الربّ لم يصدّقه. كان يعرف أنّه يحبّ الربّ كما كان يعلم أنّ الربّ يعرف حال بطرس أكثر مما يعرف بطرس نفسَه ، لذلك يعترف لا بمحبّته للربّ فحسب بل وأيضاً بأنّه إله الكلّ قائلاً:

«يا ربّ أنت تعلم كلّ شيء أنت تعرف أنّي أحبّك»(يو٢١: ١٧)

لأنّ معرفة كلّ شيء هي من خصائص اللّه.

٩ ـ موت الشهادة:

والربّ ، بعد اعتراف بطرس من كلّ قلبه ، لم يكتف بشرطنته راعياً ورئيس رعاة للكنيسة كلّها بل يعده بأنّه سوف يحيطه بقدرة حتى الموت موت الصليب تؤهّله ليصبر هو الذي لم يصبر حتى على سؤال جارية. قائلاً له:

«الحقّ الحقّ أقول لك لمّا كنت شاباً (في السنّ الجسدي والروحي) كنت تمنطق نفسك (أي كنت تستخدم قدرتك الخاصّة) وتمشي حيثُ تشاء (تستخدم إرادتك الطبيعيّة). ولكن لمّا شخت (عندما تصل إلى نهاية حياتك الجسديّة والروحيّة) تمدّ يدك (يشير هنا إلى موت الشهادة على الصليب والعمل هذا يتمّ طوعاً بإرادة الرسول) وآخر يمنطقك ويحملك حيثُ لا تشاء» (أي سوف يقوّيك ويأتي إلى حيث لا تريد هارباً من الناس ما دامت الطبيعة لا تريد إنحلالها بالموت) (يوحنا ٢١:١٨).

العلاقة هنا بين طبيعتنا والحياة تدلّ على موت الشهادة الفائقة الطبيعة. هذا ما حصل مع بطرس الرسول. هكذا يقول إنّ الرسول سوف يحتمل كلّ شيء بإرادته «من أجلي ومن أجل الشهادة لي وأنا سوف أُقَوّيه على ذلك». هذا ممّا لا تريده الطبيعة الإنسانيّة كون عمل الشهادة يفوق على الطبيعة.

(إستشهد الرسولان في رومة في عهد نيرون سنة ٦٧ . بطرس صُلِبَ ورأسه إلى أسفل. وبولس قُطِعَ رأسه لأنّه كان مواطناً رومانيّاً)

* بولس الرسول:

١٠ ـ هكذا هو بطرس الرسول بقدر ما يستطيع الإنسان أن يصفه بصورة مختصرة.

أمّـا بولس فمن هو ؟ وأيّ لسان بل كيف وكم يستطيع الواحد أن يصفه ، أن يستعرض جهاده وصبره Karteria حتى الموت من أجل المسيح ؟ كان يموت كلّ يوم بل كان مائتاً بصورة دائمة لأنّه كما يقول:

«فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غلا٢:٢٠) كان يعتبر كلّ ما هو هنا نفايات محبّةً بالمسيح وكلّ ما هو آتٍ يعتبره أيضاً ثانوياً نسبة إلى المسيح.

«لأنّي متيقّن أنّه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علوّ ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة اللّه التي في المسيح يسوع ربّنا» (رو٨:٣٨).

كانت لديه غيرة للّه ، يشدّنا حماساً نحو اللّه. ولا أحد يساوي غيرته غير بطرس. أمّا تواضعه فاسمعوا ما يقوله عن نفسه:

«لأنّي أصغر الرسل أنا الذي لستُ أهلاً لأن أدعى رسولاً» (١كو١٥:٨).

* التساوي بين بطرس وبولس:

١١ ـ ماذا إذاً بعد ذلك؟ ما دام بولس يتساوى مع بطرس في **الإعتراف ، في الغيرة ، في التواضع ، في المحبّة** ، ألم يحصل على الجوائز عينها من الربّ المانح كلّ شيء بحكمة وعدل؟ لذلك يقول الربّ لبطرس من جهة:

«أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي». أمّا بالنسبة إلى بولس ماذا يقول لحنانيّا ؟:

«هذا هو إناء مختار لي لكي يحمل إسمي بين الملوك والأمم» (أعمال ٩:١٥).

أيّ إسم؟ طبعاً الإسم المعطى لنا في كنيسة المسيح التي لاهوت بطرس أساسٌ لها. أرأيتم بهاء الرسولين بطرس وبولس ومساواتهما في الكرامة وكيف يحملان كنيسة المسيح؟ لذلك ، اليوم تقدّم الكنيسة لهما كرامة واحدة ويُعَيّد للإثنين معاً.

* عمل التوبة:

أما نحن فلننظر أيضاً إلى نهاية حياتهما ولنقتَد بهما. إن لم نستطع أن نتبع فضائلهما كلّها. فلنقتَد على الأقل بالتواضع والتوبة. الفضائل الأخرى تناسب العظماء ولا يستطيع أن يتشبّه بها سوى الكبار. لكنّ عمل التوبة هو الذي يناسبنا أكثر من غَيره، لأنّنا نقترف كلّ يوم زلّات كثيرة ولا خلاص لنا إلاّ عن طريق التوبة.

١٢ ـ ينبغي لنا أن نعرف زلّاتنا من أجل التوبة. لأنّ النبيّ صاحب المزامير يقول: «إرحمني لأنّي أنا عارفٌ بإثمي» (مز٥٠:١-٢). بمعرفة الخطايا نجلب لأنفسنا الرحمة ، وبلوم النفس نستدرّ الغفران الكامل. «إنّي أعترف للربّ بذنبي. وأنت صفحتَ عن خباثة قلبي» (مز٣١:٥). لأنّ معرفة الخطايا تجرّ الحزن الذي دعاه بولس الحزن بحسب اللّه. ممّا يتبعه إنسحاق القلب والطلب الحارّ للّه من أجل الغفران بالحدّ من الشرور. هذه هي التوبة.

١٣ ـ من أجل ذلك تحرّر الملك منسّى من العقاب بسبب توبته مع أنّه كان قد إقترف جمّاً من الخطايا ولسنين طويلة. وداود أيضاً غُفِرَت خطاياه بسبب التوبة بل وأعطاه الربّ موهبة النبوّة زيادة نعمة.

هكذا فإنّ بطرس ، عن طريق التوبة ، نهض من كبوته وحصل على الغفران وأخذ على عاتقه حراسة كنيسة المسيح.

ولذلك ربح بولس مثل هذه النعمة بعد اهتدائه إلى الربّ ، وبعد الحظوة التي نالها من اللّه. لأنّ التوبة إن كانت صادقة نابعة من القلب ، تُقنع صاحبها ألاّ يعود إلى خطاياه ، ألاّ يلتصق بالفاسدين ، ألاّ ينغمس في اللّذات الضّارة ، بل أن يزدري بالحاضرات ويتكرّس للآتيات ، أن يحارب الأهواء ويقتنص الفضائل ، أن يضبط نفسه في كلّ شيء ، أن يسهر في الطلبات نحو اللّه ، أن يبتعد عن الربح الظالم، أن يكون رحوماً للخاطئين ، شفوقاً للمتوسّلين إليه ، جاهزاً لإغاثة المحتاجين بكلّ ما لديه من أقوال ، من أفعال وأموال ، أن ينحني أمام الكلّ. هكذا عن طريق الإحسان يكتسب المحبّة للبشر ومع محبّة القريب يأخذ من اللّه الرضى والرحمة الأبديّة والنعمة والبَرَكة.

١٤ ـ لنحظَ كلّـنا بهذه النعمة من ابن اللّه الوحيد الذي يليق به المجد والقدرة والكرامة والسجود مع أبيه الذي لا بدء له والروح الكليّ قدسه الصالح والمحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين. ■

إبن الغنـــي وإبن الفقير

إبن رجل غني كان جالساً عند قَبر أبيه ومعه إبن رجُل فقير ، فبينما كانا يتكلّمان قال إبن الغني مفتخراً : أنّ تابوت أبي من حجر وهو منقوش ومزيّن بأبهى وأحسَن رونق لما عليه من الرخام المرصّع بالفيروز والياقوت ، وماذا ينفع قبر أبيك المبني من الطوب والمسقوف بأقلّ من خشبتَيْن ،عليه من التراب قبضة أو قبضتيْن.

فلم يجبه إبن الفقيرويكسر كبرياءه ويحطّ افتخاره إلاّ بالجواب الآتي قائلا:

أسكت يا قليل الحيلة والتدبير فإنّه بينما يجتهد أبوك ليقوم من تحت هذه الأحجار الثقيلة التي ذكرتها ، يكون أبي قد قام وفاز بالسُكنى في أحسن موضع في الجنّة.

فخجل إبن الغنيّ وانكسر إفتخاره.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣١)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

محطّات الرحلة (خر١٣؛ عد ٣٣) :

رعمسيس: بعد أن صدر قرار فرعون بأن يُطلق الشعب ، قام الشعب وهم يحملون الأمتعة وخبزهم غير المختمر ، وارتحلوا من رعمسيس التي كانت في أرض جاسان.

سوكوت: وهي مدينة حصينة في وادي الطميلات (تل المسخوطة) ، وسوكوت معناها مظلات حيث أن بني إسرائيل بعد إرتحالهم من رعمسيس إستراحوا في سوكوت ، وهي تبعد ١٥ ميلاً (٢٤كم) من بدء إرتحالهم ، وهناك خبزوا فطيرهم من العجين غير المختمر الذي حملوه معهم من مصر واستراحوا في مظال أقاموها بسرعة من أغصان الشجر.

إيثام: إنتقل الشعب من سوكوت إلى إيثام ، في طرف البريّة (خر١٣:٢٠) حيث رمال الصحراء الممتدّة وكان لهم عمود السحاب يرشدهم نهاراً ويظلّل عليهم وسط الصحراء (أش٣٢:٢) وعمود النار يتقدّمهم فيضيء لهم ظلمة الصحراء ليلاً.

عبور البحر الأحمر: بعد أن وصل بنو إسرائيل إلى إيثام ندم فرعون على أنّه أطلق الشعب ، فأرسَلَ خلفهم قوّة عسكريّة من ست مئة مركبة حربيّة منتخبة ، وأغلب الظنّ أنه كان اليوم الخامس لخروجهم ، فقد أمَرَ اللّه موسى أن يرجعوا وينزلوا عند (فم الحيروث) بين (مجدل) والبحر أمام (بعل صفون) ، وبعد أن صاروا عند فم الحيروث أدرك فرعون أنّهم قد وقعوا في كمين إذ صاروا محاصرين ولا مهرب. كان على الجانب عند مجدل بريّة قاحلة ، وعلى الجانب الآخر البحر الأحمر ، تواجههم من الشرق جبال (بعل صفّون) ، مما شدّد فرعون ليسعى وراءهم ، ومما يجدر بالملاحظة أنّهم لو كانوا إتّخذوا طريق الساحل حيث أمضوا خمسة أيام كانوا أصبحوا على أبواب كنعان ، والآن وقد شاهدوا جيش فرعون بعرباته وراءهم إنخلعت قلوبهم ، لكن موسى كان الرَجُل الوحيد الذي لم يهتَزّ إيمانه ولم يتزعزع وسط هذا الفزع والخوف الذي تملّك الشعب ، وصرخَ موسى إلى الربّ ، وانتقل عمود السحاب من أمام الشعب إلى ورائهم وكانت فترة الليل هادئة وعندما بدأ إستعداد الجيش في الهجوم؛ مدَّ موسى يده وهو يرفع عصاه على البحر، فانشَقَّ بريح شرقيّة شديدة وسار بنو إسرائيل على اليابسة ، وصار الماء لهم سوراً على الجانبين ، وفي هزيع الصبح وقد تبع المصريون الشعب وكان موسى القائد البطل يتقدّم العبور ، أن أزعج الربّ جيش فرعون في عمود النّار والسحاب ، فتملّكهم الهلع ، وخلع الربّ بكر عجلاتهم فساقوها بثقل ، وهم يجذبونها في طين قاع البحر ، وأحسّوا أنّ الربّ هو الذي يقاتل عن الشعب ، وغرقت مركبات فرعون في قاع البحر ، أما بنو إسرائيل فقد عبروا البحر وخرجوا يرنّمون تسبحة النصرة (خر١٥) .

الخط الأحمر : عبور الشعب الإسرائيلي تحت قيادة النبيّ موسى العظيم

ويرى الدارسون أنّه من الصعوبة التأكّد بدقّة مكان نقطة العبور إذ أنّ جغرافية الموقع تغيّرت عمّا كانت عليه ، ولكن يُرَجّح أن مكان العبور كان في المنطقة بين السويس والإسماعيليّة ناحية القنيطرة عند بحر القصب ، حيث أن إسم البحر الأحمر تعني بحر سوف .

من تسبحة موسى النبيّ : لنسبّح الربّ فإنّه بالمجد قد تمجّد. الخيل والركّاب طرح في البحر. المعين والساتر صار لي للخلاص هذا هو إلهي فامجّده إله أبي فارفعه، الربّ الذي يسحق الحروب الرب اسمهُ. مركبات فرعون وقوّته طرح في البحر ... لأنّه أدخل خيل فرعون مع المركبات والركّاب في البحر وأعطف الربّ عليهم ماء البحر ، أمّا بنو إسرائيل فسلكوا على اليبس في وسط البحر.

يتبع

ميمر ميلاد السابق القديس يوحنا المعمدان

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

لتفرح السماوات والأرض معاً ، ولتقطر الجبال (خيراً) والسحُب فلتسبّح عدلاً ، ولترتكض الآلام سروراً ، ولتبتهج البرايا كلّها معاً ، فإن اللّه تعالى قد رحم شعبه ، وأنجز موعده ، وأعلن إمارات وروده ، وأعلَمَ الناس بدنوّه بتبشيره بمولد السابق أمامه ، وإرسال الملاك الموسوم لرسائله ، لقوم قد حاصرهم أعداؤهم وتلهّفوا شوقاً إلى مُحْيٍ يُنقذهم ، ليفرحوا إذ أقبل وفد ملكهم بدنوّ تخليصهم واقتراب تحريرهم. هكذا ينبغي لنا أن نفرح اليوم ، يا أحبائي ، بمولد يوحنا العظيم ، نذيرنا السابق بالبشارة عن ورود المسيح إلهنا ، الذي تاقت إليه عقول الأنبياء ، وتمثّل معاينته الأبرار الأصفياء. فليتشارك اليوم في السرور سائر المؤمنين ، وليفرحوا بظهور مقدّمة مخلّصهم من **وَزْر الخطيئة**. الشيوخ فليفرحوا ، فإن الشيخ زكريا قد وُلدَ له اليوم ، الشريف في الأنبياء ؛ **والعواقر** فليرتكضن ، فإنّ العاقر قد ولدت الإبن الأعظم من جميع مواليد النساء.

اليوم ظهرت مبادىء خلاصنا وأشرقَت أضواء تحرّرنا.

اليوم وُلدَ المصباح الذي سبقَ ظهورَ النور الأعظم المنير كل إنسان آت إلى العالم . المولود الملائكي المُرسَل أمام وجه ملك الملائكة.

اليوم ظهر النبيّ الهاتف إلى الناس أن يعدّوا طريقَ الإيمان للكلمة الخالق ، وأن يجعلوا قلوبهم مستوية لقبوله.

اليوم وُلدَ الصدّيق المسرور به لصوت الختن.

اليوم أقبل (الكارز) بالتوبة لغفران الخطايا والمبشّر بمجيء الملك البارىء البرايا. اليوم برز الصوت الصارخ في قفر نفوس الناس المقفرة من الأعمال الصالحة ، المعشّبة بعشب آلام الخطيئة ، المحرّجة بشوك الرذائل (قائلاً): «توبوا فقد دنا مُلك السماوات ، الموجب لمن يؤمن بالمسيح الملك السماوي ، الآتي بعدي والذي لم يزل قبلي». وإذ كان اليوم عيد مولِد هذا الكوكب المُنير ، مقدّمة شمس العدل اللاّمعة.

فلنذكر الألفاظ الإنجيليّة التي عرفت بالتبشير به وبولادته. قال البشير في الإنجيل المقدّس: «إنّه كان في أيام هيرودس ملك أرض يهوذا كاهن اسمه زكريا وإمرأته من بنات هارون إسمها أليصابات. وكانا صدّيقين أمام اللّه سالكين في جميع وصايا الربّ وطرقه بغير علّة ، وابنٌ لم يكن لهما لأنّ أليصابات كانت عاقراً وكلاهما كانا قد طعنا في السنّ. وفيما كان زكريا يخدم في نوبة خدمته قدّام الإله كعادة الكهنوت دخل هيكل اللّه ليبخّر ، وكلّ جماعة الشعب كانوا يصلّون خارجاً في ساعة التبخير ، فتراءى له ملاك الربّ قائماً عند مذبح البخور ، فارتاعَ زكريا حين نظره ووقعت عليه مخافة. فقال له الملاك: «لا تخف يا زكريّا لأنّ تضرّعك قد سُمع وإمرأتك أليصابات تلد إبناً وتدعوا إسمه يوحنا وسيكون لك فرحاً وسروراً ، وكثيرون يفرحون بولادته ويكون عظيماً قدّام الربّ. وخمراً ومُسكراً لا يشرب ، ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن أمّه.وكثيرون من بني إسرائيل يُرَدّوا إلى الربّ إلههم ، وهو يسبق فيأتي قدّامه بروح وقوّة إيليا. ويردّ قلوب الأبناء إلى الآباء. وأولئك الذين لا ينقادون إلى (حكمة) الصدّيقين ، ليهيّء للربّ شعباً مستعداً ومهذّباً». فقال زكريا للملاك: «كيف يكون هذا وأنا شيخ وإمرأتي عجوز طاعنة في أيّامها». أجاب الملاك فقال: «أنا جبرائيل الواقف قدّام اللّه وأُرسلت لكي أقول لك وأُبشّرك بهذا ، والآن فإنّك تكون صامتاً ولا تقدر أن تنطق حتى اليوم الذي يكون (فيه) هذا، من أجل أنّك لم تصدّق كلامي الذي سيتمّ في وقته».

وكان الشعب ينتظرون زكريّا وعجبوا من إحتباسه في الهيكل، فجعل يشير إليهم ومكث لا يتكلّم. فكان لما تمّم خدمتَه (أن) انطلق إلى بيته. ومن بعد تلك الأيّام حبلت أليصابات إمرأته وكتمت نفسها خمسة أشهر قائلة: «إنّ الربّ صنع إليّ هذا في الأيّام التي نظر (فيها) أن يرفع عنّي عاري من الناس». فمن ذا يستطيع أن يُمدح من جبرائيل رئيس الملائكة المبشّر بالحبل به ؟ ومن يقدر أن يُنقص (من شأن) مَن مُسحَ نبيّاً وهو في حشا أمّه؟ هذا الذي نطق بلسَان والدته وسجد مرتكضاً للإله الآخذ بتجسده في أحشاء البتول مريم الطاهرة نفساً وجسماً ، لما دخلت منزل زكريا لمصافحة أليصابات نسيبتها. فحين سمعت أليصابات سلام مريم إرتكضَ الصبيّ في بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عال وقالت: «مباركة أنت في النساء ومبارك هو ثمرة بطنك. ومنْ أينَ كان لي هذا أن تأتيَ أمّ ربّي إليّ، لأنّه حين وقع صوت سلامك في أذنيّ ارتكض الجنين بفرح في بطني ، فطوبى لتلك التي آمنت أنه يكون تمام للذي كُلّمَت به من قبَل الرب» فتنبأ لها الطفل بالبشارة الإلهيّة التي لم يسمعها (أحدَ) غيرها.

هذه أولى نبوءات المقدّس بالروح القدس في أحشاء أمّه. وهذه (هي) الأمور المجيدة في التبشير به والحبل العجيب الذي حلّ عقر الوالدة والأرتكاض والتنبؤ بلسانها.

وأمّا العجائب الباهرة في مولده ، فإنّه في اليوم الثامن لمولده أطلق إعتقال لسان أبيه حيث كتب مجيباً: «إسمه يوحنا». يا للعجب الذي أذهل مَن شاهده وأبهت الذين سمعوه. وتنبّأ أبوه بالنعمة الحالّة عليه قائلاً: «مبارك الربّ إله إسرائيل الذي إفتقد شعبه وصنع خلاصاً لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود عبده ، كالذي تكلّمت عليه أفواه أنبيائه المقدّسين من الأبد ليخلّصنا من أعدائنا ومن يد جميع مبغضينا وصَنَع الرحمة مع آبائنا وتذكّر ميثاقه القدّوس ، القَسَم الذي أقسَمه لإبراهيم أبينا ، ليعطينا بغير خوف أن نخلص من أيدي أعدائنا ، لنعبده بالبرّ والعدل تجاهه جميع أيّام حياتنا. وأنت أيّها الصبيّ نبيّ العليّ تدعى ، لأنّك تتقدّم أمام وجه الربّ لتعدّ سبله ، لتعطي علمَ الخلاص لشعبه بمغفرة الخطايا ، (بأحشاء رحمة إلهنا) الذي إطّلع علينا مُشرقاً من العلوّ ، ليضيء لأولئك الذين في الظلمة وظلال الموت جلوساً ، ليُقَوّم أرجلنا في طريق السّلم».

فإذا أمور مولده هكذا مسطّرة في الإنجيل ، وقد بشّر بها رئيس الملائكة وحقّقتها الآيات الباهرة التي جلالتها كافية أن تلبسه حلل المجد وتطوّقه بقلادة الفخر ، فكيف وقد تضاعف عليها مديح الإله وسيّد الملائكة وكلّ البرايا إيّاه وتفضيله على الأنبياء ، بما أنّه شاهَد الإله الذي تنبأ عليه أولئك. لأنّ أولئك قالوا : «سيجيء إلهنا ويظهر جهاراً». وأمّا هذا ففاق عليهم بقوله للشعب الإسرائيلي: «ها هوذا حمل اللّه الذي يرفع خطايا العالم».

هذا المثلث الغبطة المتوّج بالنبوّة والكهنوت والشهادة. فهو خاتم الأنبياء وأفضلهم لإشارته إلى الإله المتنبىء عليه من الأنبياء كلّهم ، وأجلّ الكهنة وأكرمهم بما أنّه ترك يده على هامة الربّ بارئهم كلّهم والمأنس لخلاصهم. وهو رئيس الشهداء وأشجعهم مجاهرة بالعدل ، فإنّه لم يمل مع روح تملّق الملوك وضرواتهم.

فلمن نمدح إذاً ، للنبيّ أم للكاهن أم للشهيد أم للزاهد في الأمور العالميّة ، الفاتح للناس سيرته الشريفة طريقةً للزهد النافع. لأنّه سَبَقَ فأعدّ بسيرته المجيدة الطريق إلى السيرة التي كفّر بها الإله الذي أنقذ من البلى حياتنا وأنهضنا من صرعتنا. هذا هو الصوت السابق للكلمة الخالق، الهاتف: «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات أعدّوا طريق الربّ ، أي أعدّوا قلوبكم للإيمان به ، إقتلعوا كلّ الشرور التي تمنع دخول الربّ إلى قلوبكم. «قوّموا مناهجه»، أي صفّوا حواسكم الظاهرة والباطنة ، وطهّروها ليسكن فيكم. «فليمتلىء كل واد» ، أي كلّ موضع في أنفسكم قد حفرته الرذيلة ، فليُملأ بالفضيلة. «وكلّ جبل وتلّ فليوضع» ، أي كلّ تشامخ وتكبّر فليُهدَم بالإتضاع. «ولتصر السُبل الوعرة مستقيمة والجبال طرقاً ممهدّة»، أي الشيَم القاسية والعوائد الرديئة فلتُقَوَّم بمخافة اللّه **وبذكر الموت**. فسيعاين كل ذي جسم خلاص الإله إذا إستنار هكذا.

فلنُعَيّد يا أحبائي تعييداً روحانيّاً لا جسدانيّاً تابعين سيرة هذا القديس المجيد، زاهدين في جميع المنظورات الوقتيّة ، هاجرين القنية الشاغلة عن السعي في السبل السماويّة ، محبّين الصمت ، عائشين بالعدل ، ممتنعين عن الألوان والأغذية المشعلة أتون الجسد ، مكتفين بما يحفظ القوّة الطبيعيّة ؛ حتى إذا شاهد هذا القدّيس قبولنا تعليمه وعشقنا سيرته وإيثارنا نسكه وإكرامنا أعياده ، هكذا بالتشبّه بجمَال تصرّفه في العالم ، قابلنا على ذلك بالتوسّل عنّا إلى اللّه الآب ـ القابل شفاعته ، المعلّي منزلته ، الذي أكرمه بعجائب مولده وبالوحي إليه وبمعاينة الروح القدس النازل على ابنه الحبيب ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح وقت التعميد المجيد وسماعه صوت الشاهد لإبنه الحبيب الذي هو متأنّس لخلاصنا ، بأزليّته (ومساواته له) في جوهره الفائق الأزمان والدهور ـ أن يخوّلنا العطايا السماويّة ويرزقنا النعم الدهريّة ويمنحنا نشاطاً وحرصاً في أعمال التوبة لكيلا نُقطَع كغير مثمرين ، بل يعيننا على اقتبال وصاياه إلى آخر نسمة بعقلنا وحسّنا ، ولنهتف إليه قائلين: «يا أفضل الأنبياء وأكرم الكهنة والشهداء ، كما حللت بحضورك عقريّة والدتك تشفّع لنفوسنا العواقر أن تلد الأفكار الصالحة والنتائج الحسنة. وكما أطلقت لسان والدك ، كذلك إبتهل لعقولنا الخرس أن تنطق دائماً بتسبيح اللّه (ورحمته) السابقة ، وأعن دائماً بوسائلك المقبولة ، الذين قد آثروا أن يتشبّهوا دائماً بمثالَ سيرتك الملائكيّة ، واحرس عقولنا من الخدائع الشيطانيّة وأيقظ نفوسنا يا كاروز التوبة إلى التوبة عن خطايانا ، يا من لا تُرَدّ طلبته ولا يُمنَع سؤاله ، لقربك من اللاهوت الأزليّ ومثولك كالثالوث العنصري في الغبطة الدائمة ، وأعنّا على كل عمل صالح يرضي إلهنا بوسائلك إلى اللّه تعالى الذي ينبغي له المجَد والعزّة والإكرام من سائر البرايا المنظورة وغير المنظورة الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور آمين . آمين. آمين.

حرف الملوك

يظنّ فريق من الناس أن الحرَف إنّما هي لصغار الناس ، وهذا ظنٌ باطل ووهمٌ فاسد ، وكأنّ بملوك البلاد المتمدّنة شعروا بهذا الظنّ من الناس فتعلّموا الحرَف حتى يعطوا للشعب مثالاً حسناً.

فملك أنجلترا تعلّم صناعة عمل الجورابات وابنه وليّ العهد صناعة عمل الحبال ، والملك أوسكار صاحب عرش السويد الفلاحة والحطابة ، وملكة النرويج تجليد الكُتب وصناعة الخراطة فضلاً عن عدّة صنائع أخرى وقيصر روسيا الثاني نيقولا كان يعرف الحرث والزرع والحصاد كأحسن فلاّح ، والإمبراطور وليم صفّ (تنضيد) الحروف في المطبعة ، والملك همبرت والد ملك إيطاليا كان جزمجيّاً بل إسكافيّاً ماهراً ، والملكة ڤكتوريا كانت مشهورة بحبّها وتفوّقها في صناعة الحبك والتطريز.

(السل رقم ٢) أو (داء الحسد)

« الحسد شهوة مشوّشة لا تحتمل نعمة ولا فضيلة في النفوس . تلك الشهوة الرديئة ما وجدت شيئاً من السمعة أو السعادة عند أحد إلا وأجهزت عليه إجهازاً وخنقته وقت ولادته » (فلشيير)

هم يحسدوني على الموت فوا أسفا حتى على الموت لا أخلو من الحسد

السلّ رقم ١ أو السلّ الرئوي هو ذلك الدّاء الخبيث الذي أعيا نطس الأطباء وأساطين الطبّ المتقدّمين والمتأخّرين.

كذلك السل رقم ٢ قد أعيا نطس الأجتماعيين في تطبيبه؛ داءٌ ما أصاب أحداً إلاّ انحلّ منه الجسم وأسقم النفس ، وألبَسَهُ الشقاء ثوب العذاب الأليم من قمّة رأسه إلى أخمص قدميه.

إذا نام صاحب ذلك السلّ كان نومه مزعجاً، وإذا أكل كان الطعام في فمه مرّاً وعلقماً ، وإذا سارَ في الطريق تمنّى لو أنّ يكون الهواء في قبضته فيمنعه عن النّاس ليتمتّع به وحده ، وبالجملة فعيشه مرّ وحياته مجموع عذاب وشقاء.

إنّ المُصاب بالسّل رقم ١ قد لا يتألّم ولا يتوجّع إلاّ في جسمه ، وقد يكون هادىء النفس ، ساكن الفكر ، مرتاح الضمير. أمّا المُصاب بالسلّ رقم ٢ فسلّه يُبري جسده ، ويهشّم عظمه ، ويعذّب نفسه ، ويزعج ضميره ، ويشوّش راحته الفكريّة ولا يجعله يهدأ برهة من الزمان.

السلّ رقم ٢ ناراً آكلة تحرق الأحشاء ، وتكوي الأكباد ، وتذيب الفؤاد حتى تجعله هباءً منثوراً ؛ فضلاً عن كونه يجعل صاحبه شرساً مفترساً أقرب إلى الحيوانيّة منه إلى الإنسانيّة.

ذلك الداء الخبيث هو داء الحسد.

النّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، أمّا الحَسَد فيأكل صاحبه وَجَدَ ما يأكله أو لم يَجِد . ولذلك قيل: «**الحَسَدَة مناشير أنفسهم**».

كلّ ذلك الشرّ ، وكلّ ذلك العذاب والتعاسة والبلاء الكبير متولّد من الحسَد الذي هو الشهوة أو الخلّة النفسيّة التي لا تحتمل أن ترى نعمة أو خيراً عند أحد غريباً كان أو قريباً.

ليت شرّ الحسَد لا يتجاوز حدّ الحَسود ، فلو كان كذلك لكان شرّاً واحداً بل هو يتعداه إلى نفوس عديدة تضمّها عائلات كثيرة ، وربما حَلَقَ بلاداً برمّتها فخرّبها ونَعَقَ عليها غراب البين.

كثيراً ما شاهد الإنسان أنّ الحَسَد طالما كان سبباً لنفرة صديق من صديقه ، وطالما كان سبباً للنزاع والشقاق بين بلدة وأخرى ، بل بين عائلتين مرتبطتين إرتباطاً عائلياً متيناً ، فشَطَرهما الحَسَد وجعلهما تتحاربان وتقتتلان.

ليس ذلك فقط.

بل مما يحزن القلوب أن الحَسد طالما كان سبب قيام عائلة واحدة على بعضها ، وقيام أفرادها بعضهم على بعض.

من البلوى أنّه حتى إلى هنا لا يقف حدّ الحَسَد.

قَلِّب سجلّ الأمم يوماً بعد يوم تجد مكتوباً في كل صفحة من صفحاته بحروف من دم هذه العبارة: «**قتل اليوم زيدٌ أخاه عمرواً حسداً**». كل ذلك تؤيّده الحوادث اليوميّة.

أوّل نقطة دم بشريّة سقطت على الأرض ولوّثت أديمها ممن ولمَ ؟؟. لم تقع تلك النقطة من حرب بين بلدين أو قبيلتين. ولا من غارة قاطع طريق. ولا من جارحة إنسان طعنها في صدر مَن سَلَبَ شرفه وهتَك عِرضه. ولا ولا ممّا شابه ذلك.

ممن إذن ؟

من جسم إنسان قتله أخوه ؟

لمَ ؟

حَسَداً !

ذلك حينما قتل قايين أخاه هابيل.

هنا يتمثّل لكَ شرّ الحسد وسفالة الحسود. هنا تَعرف أن الحَسَد داءٌ خبيث ، وأنّه **رمز النفس الساقطة الوضيعة**.

للحسود جارحتان. جارحة فولاذيّة قاطعة للمادة وهي التي مزّق بها قايين جسم أخيه هابيل. والثانية جارحة لحميّة قاطعة للنفس والشرف وهي **اللسان**.

هنا يقول **فلشيير**: « بما أنّه ليس للحَسَد قوّة في يده ، فدائماً يستعمل كل خداع اللسان ، والواسطة الوحيدة عنده هي الغيبة والنميمة والسعاية. هذه هي الشِّراك التي ينصبها ، والضربات التي يصوّبها إلى شرف وراحة أعدائه». ولا غرابة إذا قلنا أنّه ليس للحسود صديق.

هذا السلاح هو بعينه الذي يستعمله البعض ضد البعض في كل حين سبيلاً للإيقاع والسقوط. وكما أن هذه هي أسلحة الحَسود ، هي أيضاً رموز وعلامات نفسه الساقطة.

للحسود في حياته يوم أو بضعة أيّام يعتبرها أيام أعياد وأفراح وسعادة ، ذلك اليوم أو عيد الحسود هو اليوم الذي يرى أو يسمع فيه بهبوط وسقوط زميل له أو أحد الناس عامة. **لَلا قبَّحَ** اللّه ذلك اليوم **وقبَّح وجّه الحسود**.

للحسود نغمات مخصوصة يلتذ منها وينشرح لها صدره ويرقص لها قلبه كما يرقص قلب الرقيق الشعور الطيب الإحساس من سماع نغمات الموسيقى ورؤية مشاهد الجمال الصحيح والمناظر البديعة ويلذ له أكثر أن يرى الجميع يُضرَبون على وتر تلك النغمات التي تلذّه.

تلك النغمات التي تتضاعف لها دقّات قلب الحسود فرحاً وسروراً ويرقص لها فؤاده طرباً هي **نغمات الوشاية والسعاية**. هي سماع المحاضرات والخطابات التي تلقَى **طعناً وقدحاً وذمّاً وهجواً** في شخصٍ ذي نعمة.

* المحبّة لا تحسد (١ كو ١٣:٤)

المحبة هي إنكار للنفس أو إماتة للذّات ليتربّع اللّه مكانها كما على عرشه. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، بل ما هو للآخرين. فمن يحب يفرح ويُسَر لنمو الآخرين روحيّاً وجسدياً ، ويشتاق لو أُعطيَ له أن يتخلّى عن كل ما اكتسبه من بركات أرضيّة وسمائيّة لأجل إخوته. وإذ تحب الأم أولادها تشعر أن نجاحهم وحصولهم على شهادات دراسيّة هو نجاح لها شخصياً.

* لماذا دخل الحسد العالم ؟

كثيرون ، بل ربما الجميع ، يشعرون أحياناً بثقل أفكار الحسَد في داخلهم بالرغم من تأكّدهم تماماً من الشرور التي يجلبها الحاسد على نفسه ، وعجزه عن إضرار المحسود. ولعلّ سرّ العجز في التخلّص منه هو عدم معرفة أسباب دخوله فينا.

لمّا سَقَطَ الشيطان شعَرَ بالفراغ يملأ قلبه ، وإذ لم يستطع إشباعه من اللّه بدأ يحسد الإنسان الأول الذي يعيش في تناغم وإتحاد مع اللّه، وإذ أَسْقَطَ آدم وذريّته صارت القلوب فارغة تريد أن تشبع وتمتلىء ! فإن لجأت النفس إلى ربّنا يسوع المسيح مصدر البركات والنِّعَم ، إمتلأت من خير ، وأحبّت الكلّ ، واشتاقت لو أخذت آخر صفوف البشر في هذا العالم والعالم الآتي.

في هذا العالم ، مهما اشتاقت أن تتراجع إلى خَلف البشريّة ، تجد ربّنا يسوع المسيح محتلاً آخر الصفوف، ليس له أين يسند رأسه ، مبصوقاً على وجهه ، مطروداً ، مُجَدَّفاً عليه ، مصلوباً كأحقر لصٍّ.

وإن أرادت أن تتراجع إلى الوراء طالبة خلاص إخوتها أوّلاً ، تجد موسى يسبقها قائلاً: «والآن إن غفرت خطيّتهم وإلاّ فامحني من كتابك» (خر٣٢:٣٢) ، وهكذا بولس الرسول يقول: «فإنّي كنتُ أودّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي» (رو٩:٣).

أمّا إن بَحَثْتَ عن ينبوع آخر من ينابيع العالم إزداد ظمأها أكثر فإن طَلَبْتَ أمجاد العالم وممتلكاته تَحسد كلّ من يملك أو ينال أكثر منها ، بل وتحسد مَن هُم أقل منها ، لأنّ **النفس العطشى** تطلب كلّ العالم لعلّه يُشبعَها.

* لماذا الحسد داخل الكنيسة ؟

ولا تقف خطورة الحسد عند هذا الحدّ ، بل يتغلغل أكثر بين المؤمنين **وأكثر جداً بين الرعاة**. والسبب في ذلك أن المؤمن **يخطىء** فهم المسيحيّة ، فيظن أنّ الصوم في ذاته أو مجرّد الصلاة في ذاتها أو تنفيذ الطقس حرفياً يستطيع في ذاته أن يُشبع نفسه. **فيقف في سباق مع الآخرين ، لا ليشْبَع من ربّنا يسوع ، بل من حرفيّة وسائط النعمة في ذاتها** ، أو حتى في الفضائل في ذاتها. فليس في حياة المؤمن الحقيقي هدف آخر غير لقائه هو وإخوته مع ربّنا يسوع.

قد يرغب الإنسان في إشباع نفسه لا من ربنا يسوع ولا من الفضيلة، بل من مديح النّاس ، **فيصوم ويصلّي ويدرس ويتأمّل ويَعظ ويخدم** ... لأجل الناس ! فأمثال هؤلاء يدخل الحسد إلى قلوبهم.

نوجز القول: بأن الحسَد يدخل قلب إنسان لم يَذُق حقيقة الخلاص ، ولا تأمّل في السمائيّات ، ولا ارتفع عن تفاهات الأرضيّات. لهذا **إبحَث عن خلاص نفسك مع إخوتك** فيهرب منك حبّ العالم ويتبدّد قدّامك المجد الباطل ، فلا يكون للحسد فيك مكان.

* القديس يوحنا الذهبيّ الفم يقول:

لماذا تحسد؟ أخبرني! لأنّ قد مَدحَه آخرون. لكن كان يجب عليك أن تفرح. ومع هذا مَن أعلَمَك أن مدحهم حقيقيّ؟ فهل تحزن لئلا يكون قد مُدِح رغم كونه غير مستحق للإعجاب؟! فلتشفق عليه.

فإن كان هذا الشخص صالحاً ، ليس من حقّك أن تحسده إن مُدِح ، بل تنضمّ إلى صفوف المادحين. وإن لم يكن الأمر كذلك فلماذا تتمرّمر؟ لماذا تبرز سيفك على نفسك؟ هل لأنّك تطلب إعجاب الناس بك؟ ولكن الذين يعيشون اليوم لا يُوجدون غداً. هل لأنّك تُسَرّ بالمجد ؟! أخبرني أي مجد تريد؟ ذلك المجد الذي يقول عنه النبيّ «زهر العشب» (إش٤٠:٦). هل تحسد الآخرين لأنّك لا تحمل أي ثقل أو حمل من العشب؟ بدا لك أنّك مستعد أن تحسدهم لأجل هذا. فلماذا لا تحسد الحطّاب الذي يحمل الحطب كلّ يوم إلى المدينة؟ فإن ذلك الحمل (**المجد**) ليس أفضل من هذا الحمل (الحطب)، بل بالحريّ أردأ منه. فحمل الحطب في الحقيقة مؤلم بالنسبة للجسد ، أما حمل المجد فغالباً ما يضرّ النفس ويسبّب إنزعاجاً أكثر من السرور ...

«إنّه في ودّ مع السلاطين (العظماء)». ولكن هذا الأمر فيه خطر وحسد ... لأنّ ما تشعر أنت به من نحوه يشعر به الآخرون أيضاً.

«لكنّه دائماً ممدوح» هذا يسبب له مرارة ، لأنّه لا يتجاسر أن يصنع شيئاً مما ينبغي عليه أن يفعله لصالحه لئلا يتعارض مع من يمجّدونه ، فإن هذا الإمتياز هو عبوديّة قاسية له ، فبقدر ما يعرفه الكثيرون يصير له سادة كثيرون ... فقد تطغي بعض الإعتراضات الضروريّة حتى لا يجعله يتجاسر بالوقوف في الميدان ما لم يحيط به خَدمه ويكون مع فرَسه ويصطفّ بقية أتباعه ، كل هذا لئلا يزدري به سادته. وإن رأى بعض أصدقائه الحقيقيين. لا يتجاسر على مخاطبتهم على قَدم المساواة، لأنّه يخشى من سادته لئلا يقلّلوا من تمجيده. **فبقدر ما يزداد تمجيده يزداد إستعباده.** ■

أعضاء المسيح

للقديس نيقولا كاباسيلاس

لنفكّر أنّنا أعضاءُ المسيح. أهناك ما هو أسمى وأجدَى من هذا التفكير ؟ عندما تسود هذه الأفكار المبهجة على نفوسنا يزداد الشوق الأزليّ فينا ، ولن تَجد الأفكار الشريرة سبيلاً إلى نفوسنا. عندماَ نفكّر بإحسان المخلّص العظيم يزداد شوقنا نحو المُحسن الأزليّ ويُصبح كثير الوهج ، وبهذه المحبّة للرَبّ نُصبح بسهولة فَعَلة لوصاياه. «مَن أحبّني حَفِظَ وصيّتي» (يوحنا ١٤:١٥).

عندما نفكّر بأنّنا أعضاء للمسيح يستولي علينا الشعور المدرك الكامل بالمنزلة الكبرى التي سَمَوْنا إليها ، وهكذا لَـن نُسلِّم نفوسنا إلى الخطيئة ، **ولَـن نقبل أن نخدم العاصي والعبد الضّـار ، الشرّير** ، ولـن نفتح فمنا عندما نفكّـر بأنّنـا مدعوون إلى الملكوت السماوي كأعضاء للمسيح ، ولـن نترك لساننا يرشق الكلمات الشرّيرة. أيمكننا أن نجعل فمنـا آلـة للخطيئة إذا فكّـرنا أنّ المخلّص قد صَبـغَ لساننا بلون الأرجوان بمناولتنا لدمه الكريم المقدّس ؟ أنُجيز لأعيننا وهي التي رأت جسد ودم المخلّص أن تجـول في الأماكن المسبّبة الخطيئة ؟ إذا حافظنا على تفكيرنا حيّـاً بـأنّنا أعضاء مكرّمة للمسيح **تحوي كقارورة دم السيّد** أو بالأحرى كلّ السيّد فلن نحرّك أرجلنا ولن نمد أيدينا إلى ما يسبب الخطيئة.

إنّنـا أعضاء للمسيح والمسيح في داخلنا. ليست الوحدة التي لنا مع ثيابنا وجلدنا وعظامنا كالوحدة التي لنا مع المسيح ، مع رأسنا الروحي

تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم (متى ١١:٢٨)

ونحنُ أعضاؤه. يستطيع المرءُ أن يجرّدنا من ثيابنا قسراً عنّـا. يمكنه أن يجرّدنا من أجسادنا ، أمّـا عن المسيح فلا إذا لم نُرِد نحنُ. لا يستطيع ذلك لا الإنسان ولا شيطان.

«أيقنت أنّه لا موت ولا حياة ، لا رؤساء ولا قوّات ،لا حاضر ولا مستقبل ،ولا علوّ ولا عمق ،لا خليقة أخرى تستطيع أن تفصلنا عن محبّة المسيح يسوع» (رومية ٨:٣٨-٣٩).

إنّ الشهداء هم البرهان. لقد إنتزَعَ الشيطان بيد الجلاّدين أحشاءهم وسلَخَ جلدهم وفصّل أعضاء أجسادهم وسَحَقَ عظامهم ، لكنّه لم يتمكّن أن يُبعدهم بكل ما لديه من أحابيـل عن المسيح. كان عمله مشجعاً لهم في إيمانهم ، وجـاءَ بنتيجة معكوسة فالتصقوا به إلتصاقاً أوثَق ، ومَكَّـنَ وحدتهم به وجعلها وحدة مستمّرة إلى الأبد.